جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين

قسم الكتاب والسنة

السنة الثالثة تخصص التفسير وعلوم القرآن

مذكرة بيداغوجية في مادة:

اتجاهات التفسير

الدكتورة: حدّة سابق

السنة الجامعية 2012-2013

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين، ونصلي ونسلّم على أشرف المرسلين، وبعد:

تناول طلاب تخصص التفسير وعلوم القرآن في السنة الثانية مادة مناهج المفسرين، كمّا لا بأس به من جهود المفسرين، ومناهجهم، وخاصّة القدامى منهم، بما يفي بالحاجة الماسة للطالب في هذا التخصص من الوقوف على طريقتهم في التأليف، وكذا تعاملهم مع كثير من المسائل والمباحث المتعلقة بالقرآن وعلومه.

وتتمة لهذا التسلسل المنهجي، رأى فريق التكوين للتخصص المذكور أن يتناول الطلاب في السداسي الخامس، اتجاهات التفسير في العصر الحديث، وفق المفردات الآتية:

محتوى مادة اتجاهات التفسير:

- مقدّمة تحوي تعريف ببعض المفاهيم: (الاتجاه، المدرسة، المنهج).
- مفهوم العصر الحديث، وظروف نشأة اتجاهات التفسير فيه.

1. الاتجاه العقلي الاجتماعي:

- تعريفه، أسس هذا الاتجاه، الأعلام الذين برزوا في هذا الاتجاه.
- نماذج تطبيقية: مدرسة المنار (محمد عبده، محمد رشيد رضا)

2. الاتجاه العلمي في التفسير:

- تعريفه، موقف علماء العصر الحديث من التفسير العلمي، الأسس الضرورية للتفسير العلمي، مؤلفات التفسير العلمي في العصر الحديث.
- نماذج تطبيقية: طنطاوي جوهري في كتابه "جواهر في تفسير القرآن الكريم".

3. الاتجاه العقدي والمذهبي:

- تعريفه، فروع هذا الاتجاه وأعلامه (أهل السنّة، الشيعة، الزيدية، الإباضية)، أسس كل فرع من هذه الفروع.
- نماذج تطبيقية: من تفاسير الشيعة، والزيدية، والإباضية.

4. الاتجاه الفقهي:

- تعريفه، أسسه، الأعلام الذين برزوا في هذا الاتجاه ومصنفاتهم.

- نماذج تطبيقية: نيل المرام في تفسير آيات الأحكام للسيد محمد صديق حسن القِنَّوجي، وتفسير آيات الأحكام: المؤلف مجهول، صححه محمد علي السّايس، الآيات المحكمات في التوحيد والعبادة والمعاملات، للشيخ محمد بن أحمد الداه الشنقيطي، وغيرها.

5. الاتجاه البياني:

- تعريفه، أهميته، الأعلام الذين برزوا في هذا الاتجاه.
- نماذج تطبيقية: عناية الإمام محمد عبده بالتفسير البياني، ، "التفسير معالم حياته منهجه اليوم" للأستاذ أمين الخولي.

6. الاتجاه الموضوعي:

- تعريفه، أسسه، الأعلام الذين برزوا في هذا الاتجاه، نماذج تطبيقية.

ملاحظة: نظرا لطول مفردات هذا المقياس، ولتناول الطلاب للاتجاه الموضوعي في التفسير بتفاصيله في السداسيين الثالث والرابع من السنة الثانية، ارتأينا الاكتفاء بما تم تناوله سابقا، لفسح المجال أكثر لبقية الاتجاهات المذكورة في المفردات السابقة.

أهم مصادر ومراجع المادة:

- التفسير والمفسرون: د محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 2005م.
- والتفسير أساسياته واتجاهاته: أ د. فضل حسن عباس، مكتبة دنديس، الطبعة 01، 2005م.
- المفسرون مدارسهم ومناهجهم، أ د فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، الطبعة 01، 2007م.
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، إدارة البحوث العلمية، المملكة العربية السعودية الطبعة1، 1986م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
- مصادر التفسير، التي تناولناها في نماذج كل اتجاه تمت دراسته، وغيرها مما هو مذكور في هوامش المذكرة.

المبحث الأول – مفهوم اتجاهات التفسير

1. تعريف الاتجاه لغة:

(وَجَهَ) الْوَاوُ وَالْجِيمُ وَالْهَاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَابَلَةٍ لِشَيْءٍ. وَالْوَجْهُ مُسْتَقْبِلٌ لِكُلِّ وَالْوِجْهَةُ: كُلُّ مَوْضِعٍ اسْتَقْبَلْتَهُ. وَوَجَّهْتُ الشَّيْءَ: جَعَلْتُهُ عَلَى جِهَةٍ[1].

2. تعريف الاتجاه اصطلاحا، والفرق بينه وبين المنهج والمدرسة:

لم أقف على من تناول الاتجاه بالتعريف إلاّ الدكتور فهد الرومي، والأستاذ الدكتور عبد المجيد محمود.

فالدّكتور فهد الرومي عرفه بقوله: "الاتجاه – عندي – هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم، ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون"[2].

وميّز بينه وبين المنهج، فجعل المنهج مسلكا للاتجاه، فقال: "أما المنهج فهو السّبيل التي تؤدي إلى هذا الهدف المرسوم، وأمّا الطريقة فهي الأسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي إلى الهدف أو الاتجاه"[3].

أما الأستاذ الدكتور عبد المجيد محمود، فتناول تعريف الاتجاهات في كتابه "الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث"، فقال: "نعني بالاتجاهات الطرق التي سار عليها المحدثون- ليصلوا إلى استنباط الأحكام، مع التجاوز عن المنحنيات التي سار فيها فريق دون إغفال لمفارق الطرق التي تباعد بينهم وبين غيرهم. أو هي الخصائص والسمات العامة المميزة لفقه أهل الحديث. أو هي القضايا الكلية التي تحكم المحدثين عند نظرهم في الفقه.

أما المنهج فهو أخص من ذلك، إذ هو الطريق الواضح الذي يبين كيفية التطبيق لهذه القضايا والسّمات.

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (89/6).

(2) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (22/1).

(3) ينظر: المرجع نفسه، (22/1).

قال: ويمكن أن أقول إن كاتبا ما له اتجاه اجتماعي ولكن منهجه هو سلوكه إزاء قضايا المجتمع، وكيفية علاجه لها، وتنبيهه لمشكلات عصره، واقتراحاته لحلها؛ فلاتجاه عام وصفي، أما المنهج فهو خاص تطبيقي"[1].

أما المدرسة فتطلق على مَكَان الدَّرْس والتعليم، وَجَمَاعَة من الفلاسفة أَو المفكرين أَو الباحثين تعتنق مذهبا معينا، أَو تَقول بِرَأْي مُشْتَرك، وَيُقَال هُوَ من مدرسة فلَان على رَأْيه ومذهبه[2].

فالمدرسة على المعنى الأخير، تظم عددا ممن يرون رأيا واحدا، ويذهبون مذهبا واحدا، وقد تسمى المدرسة باسم مؤسسها، أو باسم مذهبها، أو باسم مكانها[3].

3. مفهوم العصر الحديث:

اختلفت وجهات نظر العلماء والباحثين في تحديد الفترة الزمنية للعصر الحديث، فالأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ذكر أن العصر الحديث يبدأ بالفترة التي عاش فيها الإمام محمد عبده، وتمتدّ إلى زماننا هذا، حيث ذكر ضمن تلاميذه: ابن عاشور، وأحمد السيد الكومي، ومحمد سيد طنطاوي[4]، وهؤلاء يعدّون من المعاصرين.

وذهب محمد كامل الفقي إلى أن بداية العصر الحديث كانت بدخول الفرنسيين مصر سنة (1213هـ 1798م). ولما تناول الحديث عن الشعر في العصر الحديث جعله ثلاثة أطوار: الطور الأول: من ولاية "محمد علي باشا" سنة 1805م، إلى ولاية "إسماعيل باشا" سنة 1863م. والطور الثاني: من ولاية "إسماعيل باشا"، إلى الاحتلال الإنكليزي سنة 1882م. والطور الثالث: من الاحتلال الإنكليزي إلى يومنا هذا[5]. فمحمد كامل الفقي جعل أيضا العصر الحديث يمتد إلى الفترة المعاصرة التي نعيشها.

وللشيخ صالح آل الشيخ معيارا آخر في تحديد العصر الحديث للتفسير، وذلك بالنظر إلى نمط التفسير، فإذا أحدث المفسر اجتهادات، وغيّر من شكل وطابع التفسير القديم، وكان لعصره أثر واضح في تفسيره فهو حديث، ولذلك جعل الضابط الزمني للعصر الحديث للتفسير بداية من القرن

---

(1) الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث، د. عبد المجيد محمود، (ص11- 12).

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (1/ 280).

(3) ينظر: الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث، د. عبد المجيد محمود، (ص11- 12).

(4) ينظر: إتقان البرهان، (1/230 - 232).

(5) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، محمد كامل الفقي (1/85).

الرابع عشر فما بعده؛ وقدّم تعليلا لاختياره فقال: "وذلك لأنّ التفاسير فيما قبل هذا التاريخ سارت على نمط التفاسير قبل ذلك، فمثلا في القرن الثاني عشر أو في القرن الثالث عشر الهجري ظهر تفسير الآلوسي قد سار على نحو ما قبله، وظهر تفسير الخطيب الشربيني على نحو ما قبله، وظهر تفسير صديق حسن خان على طريقة ما قبله، وظهر تفسير الشوكاني "فتح القدير" على طريقة ما قبله، يعني أنه منذ ابتداء تميز التفاسير في مدرسة التفسير بالرأي على نحو ما ذكرنا لم يظهر اختلاف كثير في مدارس التفسير، حتى ابتدأنا في العصر الحديث[1].

ومن هذا المنطلق، فإن طبيعة تغّير نمط التفسير تبعا لمتغيرات البيئة الاجتماعية والثقافية والعلمية يعدّ معيارا أساسيا لتحديد بداية مرحلة العصر الحديث، وإذا نظرنا تاريخيا إلى جذور هذا التغيّر في السلوك الإنساني مع مجالات الكون المتعددة، فإننا نجد الثورة الاقتصادية والعلمية التي وقعت في أوربا في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر تعد نقطة بداية العصر الحديث، ولقد كان لهذا التحول أثر بالغ في تغير كثير من مجالات الحياة للدول العربية والإسلامية وخاصة بعد مرحلة الركود التي جاث فيها الصليبيون على أراضي وممتلكات الأمة، بما في ذلك طبع قوالب فكرية وعلمية لدى كثير من علماء وباحثي المسلمين، وأثر ذلك في جهودهم العلمية، بما فيها نظرتهم إلى القرآن الكريم وتفسيره.

أما عن نهاية العصر الحديث، فيمكن تحديده بالفترة الزمنية التي شهدت بدايات تحرر الدول المستعمَرة من براثن الغاصبين في منتصف القرن العشرين، إذ بعد هذه الفترة نجد العلماء والباحثون إما أن يكونوا ممن لا يزالون متأثرين بالواقع السّابق بكل مجالاته، وإما أن يكونوا متحررين بنظر وواقع جديدين.

ولما كان لهذه المرحلة الجديدة مميزات تختلف عن المرحلة السابقة، فإننا نستطيع فصلها عنها من الناحية المنهجية، ونركز بحثنا في هذه المذكرة في المرحلة الحديثة دون المرحلة التالية (المعاصرة) للتغّير الواقعي والمنهجي من جهة، وطول مفردات المقياس من جهة ثانية.

4. نشأة اتجاهات التفسير في العصر الحديث:

لقد مرّت الأمة الإسلامية والعربية بفترات عصيبة، استحكمت فيها أيادي الاستبداد الغربي الذي عاث في أراضي العرب والمسلمين فساد، فصادر الثروات، وحجّر على العقول، فعاشت البلاد فترة من الركود الإقتصادي والاجتماعي والعلمي ليست باليسيرة، وما أن نظر عدد من العلماء والباحثين،

(1) مناهج المفسرين (ص19).

وجدوا مجتمعهم في غطيط حقيقي، فراحوا يبحثون عن علاج يعيد لأمتهم مجدها الديني والحضاري، فكانت أنظارهم مضطربة تنظر يمنةً ويسرةً على غير هدى، وتتكلم أفواههم بكلام هو وليد دهشتها ورعبها، ورأوا أن الغرب هو الوجهة المفضلة للوقوف على التطور العلمي والحضاري، وإنقاذ أمتهم من سباتها.

وقامت طائفة أخرى بهدوء وسكينة؛ وذكروا الله فأنزل الله على قلوبهم السكينة.

ولم تزل الطائفة الثالثة نائمة لم تشعر بشيء، وأنَّى لهم؟!

تلكم الطوائف الثلاث هي واقع المسلمين في نهضتهم.

أما العدو الغاصب فقد أعد للأمر عُدته؛ فأقصى أصحاب الثقافة الدينية عن ميادين الإصلاح الاجتماعي، وحصر وظائفهم في المساجد، وكان له السيطرة على أجهزة التعليم في كثير من البلاد الإسلامية، فضلًا عن جهوده الدائبة لنشر التغريب واللادينية بكل الوسائل الممكنة، وأوهموا الناس أن حالة العالم الإسلامي لن تنهض إلا بما نهضت به أوربا من فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية، وبذلك يتحقق له ما تحقق للأوربيين[1].

ودهش علماء المسلمين دهشة، وذهبوا يردون على تلك الأفكار والمذاهب الفاسدة بأساليب وطرق شتى.

وحاولت فئة منهم التقريب والتوفيق بين العلم والدين، وبينت للناس أن الدين الإسلامي الحق لا يحارب العلم الصحيح، وبينت للناس أن الإسلام دين العقل والحرية والفكر، وذهبت تقيم الدين الإسلامي على العقل -الذي لا يقر أرباب الثقافة الغربية غيره حَكَمًا- وبينت أن ليس في الإسلام ما لا يقره العقل، وحاولت أن تفسر القرآن الكريم على هذا المنهج وهذا الأساس؛ فكانت بحق المدرسة العقلية الاجتماعية.

وكان من رجال هذه المدرسة المؤسسين لها جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد مصطفي المراغي، ومحمد رشيد رضا، وغير هؤلاء كثير. وكان لهذه المدرسة جوانب إصلاحية محمودة، وكان لها بجانب هذا أخطاء ما كانوا ليقعوا فيها لولا تطرفهم في تحكيم العقل في كل الأمور؛ حتى جاوزوا الحق والصواب في أمور عدّة[2].

---

(1) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، بتصرف (3/ 715 - 716).

(2) ينظر: المرجع نفسه، بتصرف (3/ 717).

وأطلق على هذا الاتجاه محمد حسين الذهبي لقب الاتجاه الأدبي الاجتماعي، وذلك في قوله:" أما في عصرنا الحاضر، فقد غلب اللون الأدبي الاجتماعي على التفسير، ووُجِدت بعض محاولات علمية، في كثير منها تكلف ظاهر وغلو كبير"[1].

وذكر أنه "يمتاز التفسير في هذا العصر بأنه يتلون باللَّون الأدبي الاجتماعي، ونعنى بذلك: أن التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصر ذلك الطابع الجاف. الذي يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وإنما ظهر عليه طابع آخر، وتلوَّن بلون يكاد يكون جديداً وطارئاً على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تُصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شَيِّق أخَّاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع، ونُظُم العمران"[2].

وقال: "وإذا كان هذا اللَّون الأدبي الاجتماعي يعتبر في نظرنا عملاً جديداً في التفسير، وابتكاراً يرجع فضله إلى مُفسِّري هذا العصر الحديث، فإنَّا نستطيع أن نقول بحق: إن الفضل في هذا اللَّون التفسيري يرجع إلى مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للتفسير. هذه المدرسة التي قام زعيمها – ورجالها من بعده – بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى، وهداية الناس إلى ما فيه من خير الدنيا وخير الآخرة"[3].

وتولد من رحم هذا الاتجاه اتجاهات أخرى، كالاتجاه الفقهي الذي يعنى بتفسير آيات الأحكام الواردة في القرآن الكريم، وخاصة المتعلقة بأحوال الناس في العلاقات الاجتماعية، والمعاملات المالية.

وكالاتجاه العلمي الذي ذهب إلى تفسير القرآن الكريم تفسيرا علميا، متأثرا في ذلك بالمكتشفات العلمية الحديثة، وغرضهم في ذلك الدفاع عن القرآن الكريم وتبرئة ساحته، ورفع مسؤولية الانحطاط الذي آل إليه حال الأمة الإسلامية آنذاك، أو غرضهم دفع المسلمين إلى البحث والاكتشاف للوصول إلى مصاف المجتمعات المتقدمة.

كما نجد هناك اتجاهات تفسيرية أخرى في العصر الحديث، تسعى من خلال تفسير القرآن الكريم إلى الدفاع عن أصول مذاهبها والدعوة إليها، ولا يهمّها في ذلك حال الأمة الإسلامية المتردي بقدر نصرتها تلك المذاهب.

---

(1) التفسير والمفسرون، (110/1).

(2) التفسير والمفسرون، (401/2ـ404).

(3) المرجع نفسه، (401/2).

كما نجد بعض المفسرين في العصر الحديث يتجهون إلى التركيز على الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ويرون أن الوقوف عند المعاني اللغوية والبيانية هي العمل الأساس في تفسير القرآن الكريم، وهو مقدمة ضرورية لكل لون تفسيري.

المبحث الأول – الاتجاه العقلي الاجتماعي

المطلب الأول – تعريف الاتجاه العقلي الاجتماعي:

يطلق لقب الاتجاه العقلي الاجتماعي على العمل التفسيري الذي يعنى بعلاج قضايا الواقع المستجدة، والذي يواكب فيه المفسّر الأحوال الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية التي تعيشها الأمة، معملا في ذلك جهده العقلي، وفكره، مستعينا بذلك بالوسائل المتاحة في عصره.

والعَقْل يقال للقوّة المتهيّئة لقبول العلم[1]، وهو العقل الغريزي الذي يهبه الله لمن يشاء من عباده، ويسلبه عمن يشاء، وهو مناط التكليف[2].

ويقال أيضا للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عَقْلٌ، وهذا العقل هو المعنيّ بقوله: [وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ][العنكبوت/ 43]، وكلّ موضع ذمّ الله فيه الكفّار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأوّل[3].

فالقرآن يستثير العقل؛ حتى يؤدي عمله، وعمله الفقه والتفكر والتذكر والتدبر؛ ولهذا نرى القرآن الكريم يحث أحيانًا كثيرة على نتاج العقل؛ إذ هو المراد وهو المقصود.

وقد عبر عن الاتجاه محمد حسين الذهبي باللَّون الأدبي الاجتماعي، وقال في وصفه: "يمتاز التفسير في هذا العصر بأنه يتلون باللَّون الأدبي الاجتماعي، ونعنى بذلك: أن التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصر ذلك الطابع الجاف. الذي يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وإنما ظهر عليه طابع آخر، وتلوَّن بلون يكاد يكون جديداً وطارئاً على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تُصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شَيِّق أخَّاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع، ونُظُم العمران"[4].

---

(1) المفردات في غريب القرآن (ص: 577).

(2) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (3/ 277).

(3) المفردات في غريب القرآن (ص: 578).

(4) التفسير والمفسرون (2/ 401).

المطلب الثاني – أسس الاتجاه العقلي الاجتماعي:

لقد كانت ثمة معالم عامة تميّز الاتجاه العقلي الاجتماعي، لكنها غير مجمع عليها، فما سنورده هنا تتميّز به مدرسة المنار، وقد تزيد تفاسير أخرى تنتمي إلى هذا الاتجاه من هذه المعالم أو تنقص:

أولا – اتساع دائرة استعمال العقل: إن أبرز ما يميّز هذا الاتجاه التفسيري إفراطه في استعمال العقل، وإعطائه حرية واسعة، فتأوَّل بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدل بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب. استبعاد بالنسبة لقُدرة البَشر القاصرة، واستغراب لا يكون إلا ممن جهل قدرة الله وصلاحيتها لكل ممكن[1].

وأصحاب هذا الاتجاه بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها، وحمَّلت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهوداً عند العرب في زمن نزول القرآن، وطعنت في بعض الأحاديث: تارة بالضعف، وتارة بالوضع، مع أنها أحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم، كما أنها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة في كل ما هو من قبيل العقائد، أو من قبيل السمعيات، مع أن أحاديث الآحاد في هذا الباب كثيرة لا يُستهان بها [2].

فالأستاذ الإمام محمد عبده جعل الأصل الأول والثاني من أصول الإسلام للنظر العقلي، يقول في الأول: "الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل العلم، فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح، فقد أقامك منه على سبيل الحجة وقاضاك إلى العقل، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجوز أو يثور عليه؟! " [3].

ويقول في الأصل الثاني فقال: "الأصل الثاني للإسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض"، إلى أن قال: "وبهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله

---

(1) التفسير والمفسرون، بتصرف، (403/2).

(2) المرجع نفسه، بتصرف، (403/2).

(3) الإسلام والنصرانية: محمد عبده ص72، 73.

عليه وسلم مُهدت بين يدي العقل كل سبيل، وأُزيلت من سبيله جمع العقبات، واتسع له المجال إلى غير حد" [1].

ومن أعلام هذا الاتجاه الشيخ عبد العزيز جاويش الذي رفع العقل إلى مرتبة يستطيع أن يصل بالنفس الإنسانية إلى مراتب الكمال في الأحكام والتصورات والنظم الاجتماعية وغيرها؛ ليس بالوحي ولكن بالبحث والتنقيب والتجارب! يقول في رسالته "الإسلام دين الفطرة والحرية": "إن من الممكن أن تصل العقول البشرية بالبحث والتنقيب والتجارب إلى ما تصبو إليه النفس الإنسانية من مراتب الكمال في الأحكام والتصورات والنظم الاجتماعية والمسائل العلمية والآداب الخلقية..."[2].

ثانيا – إنكار التقليد:

التقليد هو "العمل بقول الغير من غير حجّة ملزمة"[3]، فوجود الحجّة الملزمة تجعل العمل بالأمر خارج عن إطار التقليد، "وعلى هذا فالرجوع إلى قول النبي عليه السلام، وإلى ما أجمع عليه أهل العصر من المجتهدين ورجوع العامي إلى قول المفتي وكذلك عمل القاضي بقول العدول لا يكون تقليدا لعدم خلوه عن الحجة الملزمة"[4].

يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: "توهم بعض المقلدين أن دعوة المسلمين إلى الاهتداء بالكتاب والسنة والاستقلال في فهمهما التي اشتهر المنار في عصرنا بها، هي التي جرأت بعض الجاهلين على دعوى الاجتهاد في الشريعة والاستغناء عن تقليد الأئمة والانتقاد عليهم وعلى اتباعهم بما هو ابتداع جديد، واستبدال للفوضى بالتقليد، وهو وهم سببه الجهل بالدين وبالتاريخ فمذاهب الابتداع والإلحاد قديمة قد نجمت قرونها في خير القرون وعهد أكبر الأئمة، وكان أشدها إفسادا للدين الدعوة إلى اتباع الأئمة المعصومين الذين لا يسألون عن الدليل، على خلاف ما كان عليه أئمة السنة من تحريم اتباع أحد لذاته في الدين بعد محمد المعصوم الذي لا معصوم بعده صلى الله عليه وسلم ، ولكن المقلدين لهؤلاء المحرمين للتقليد قد اتبعوا القائلين بعصمة أئمتهم، حتى ملاحدة الباطنية منهم، فهم يردون

(1) المرجع نفسه: محمد عبده ص74، 75.

(2) نقلا عن اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي، (3/ 715 – 717) .

(3) الإحكام للآمدي (227/4).

(4) المصدر نفسه (227/4).

نصوص الكتاب والسنة بأقوال أئمتهم بل بأقوال كل من ينتمي إليهم من أدعياء العلم. وإنما تروج البدع في سوق التقليد الذي يتبع أهله كل ناعق، لا في سوق الاستقلال والأخذ بالدلائل"[1].

ثالثا – التقليل من شأن التفسير بالمأثور:

إنّ مما يميّز الاتجاه العقلي الاجتماعي في التفسير، هو عدم الاعتماد على التفسير بالمأثور بالشكل الذي عرفه الاتجاه الأثري، ولا يعني هذا أنهم ينفون مطلقا استعمال المأثور، أو إنكار حجيته، بل لا يعتبرونه ضابطا عاما في التفسير، يلتزم به المفسّر ولا يخرج عنه.

وفي مقدمة أعلام هذا الاتجاه الإمام جمال الدين الأفغاني، فهو على قلّة تناوله لآيات القرآن الكريم بالتفسير والبيان إلا أنه أشار إلى موقفه من نصوص السنّة النبوية في هذا الموضوع، فيقول: "فالتواتر والإجماع وأعمال النبي المتواترة إلى اليوم هي السنّة الصّحيحة التي تدخل في فهوم القرآن وحده والدعوة إلى القرآن وحده"[2].

وهذه دعوة منه إلى اعتماد السنّة المتواترة دون غيرها في فهم القرآن الكريم، وهذا منهج متشدّد.

وقد اقتفي مسلكه الإمام محمد عبده الذي جعل هدفه تنقية تفسير القرآن مما علق به من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والخرافات والاستطرادات النحوية، ونكت المعاني ومصطلحات البيان وجدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتعصب الفرق وكثرة الروايات والعلوم الرياضية والطبيعية"[3].

ووضع الشرط ذاته الذي ذكره شيخه جمال الدين الأفغاني لقبول الحديث، حيث ذكر في أكثر من موضع ضرورة توفر العلم اليقيني لقبول الرواية، فمن ذلك قوله في تفسير سورة الكوثر: "وبالجملة فخبر وجود النهر من الأخبار الغيبية التي لا يجوز الاعتقاد به إلا بعد اليقين أنه ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم، فإذا وصلت فيه إلى اليقين الذي لا يجوز عندك تبدله وكان علمك بصدوره عنه – عليه

---

(1) تفسير المنار، (11/ 208).

(2) نقلا عن منهج المدرسة العقلية في التفسير، د. فهد الرومي، ص86.

(3) نقلا عن المرجع نفسه.

السلام – كعلمك بوجود مكة أو المدينة قبل أن تراهما فاعتقد به، وإلا ففوض الأمر إلى الله وقل لا أعلم. والله أعلم"[1].

ومن بعده تلميذه السيد محمد رشيد رضا في قوله: "وأما الروايات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء التابعين في التفسير؛ فمنها ما هو ضروري أيضًا؛ لأن ما صح من المرفوع لا يقدم عليه شيء، ويليه ما صح من علماء الصحابة مما يتعلق بالمعاني اللغوية أو عمل عصرهم، والصحيح من هذا وذاك قليل "[2].

ثم قال: "وغرضنا من هذا كله أن أكثر ما رُوي في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن، وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية المزكية للأنفس المنورة للعقول، فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التي لا قيمة لها سندًا ولا موضوعًا"[3].

رابعا – التحذير من الروايات الإسرائيلية:

لقد حذّر أعلام الاتجاه العقلي الاجتماعي من التساهل مع الإسرائيليات في التفسير، وعابوا على المفسرين القدامى كثرة اعتمادهم على الروايات الإسرائيلية.

وهذا الأساس مبني على الروح النقدية العقلية الذي تولد عنها رفضهم الشّديد للإسرائيليات، وقد أدى بهم تشددهم هذا إلى تكذيب بعض الإسرائيليات التي وافقت ما جاء به الشريعة، وأدى بهم أيضًا إلى تكذيب بعض الأحاديث الصحيحة الثابتة[4].

وأدى بهم هذا إلى تناول بعضهم الصحابة رضوان الله عليهم بالتجريح، وشككوا في إيمان بعض التابعين الذين شهد لهم السلف الصالح بالعدالة، وروى لهم البخاري ومسلم، ونسبوا العلماء الذين وثّقوهم إلى الغفلة.

ومع هذا الموقف الصُّلْب، والرفض الحاسم الجازم، فإن رجال المدرسة العقلية الاجتماعية أو أكثرهم أباح لنفسه ما حرم على غيره؛ فقد أوردوا كثيرا من نصوص التوراة والإنجيل"[5].

---

(1) تفسير جزء عم، ص180.

(2) تفسير المنار (7،8/1).

(3) المصدر نفسه (10/1).

(4) ينظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير، د. فهد الرومي، 754/2.

(5) ينظر: المرجع نفسه، 754/2.

فالأستاذ الإمام محمد عبده عند تفسيره لقوله تعالى: [وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خطَايَاكُمْ]، ذكر بعض أقوال المفسرين، ثم قال:"ومنشأ هذه الأقوال الروايات الإسرائيلية، ولليهود في هذا المقام كلام كثير وتأويلات خُدِعَ بها المفسرون، ولا نجيز حشوها في تفسير كلام الله تعالى"[1].

ويعتبر الأستاذ رشيد رضا أشد أعلام الاتجاه العقلي الاجتماعي حربًا على الإسرائيليات ورواتها، فقد ردّ بعض الأحاديث الصحيحة زاعمًا أنها من الإسرائيليات.

كما امتد نقده ليشمل رواة الإسرائيليات الثقات، فقدح في كعب الأحبار ووهب بن منبه، فقال عن كعب الأحبار: "بمثل هذه الروايات كان كعب الأحبار يغش المسلمين؛ ليفسد عليهم دينهم وسُنتهم، وخُدع به الناس لإظهاره التقوى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[2].

ومع كلّ هذا لم يلتزم أعلام الاتجاه العقلي الاجتماعي بهذا الضابط؛ فرووا من الإسرائيليات ما رواه السابقون، وزادوا عليهم برجوعهم إلى المصادر التي أخذ منها كعب ووهب، ونقلوا من الإسرائيليات ما يخالف النص القرآني الكريم ولم ينقدوه أو يبطلوه؛ بل ووجهوا معاني نصوص القرآن الكريم حتى توافق ما جاءوا به من الإسرائيليات[3].

خامسا – القرآن المصدر الأول للتشريع:

كما وقف أعلام هذا الاتجاه موقف الحذر من المرويات خوفا من عدم ثوبتها، وظهر بذلك اعتماد القرآن الكريم مصدرا وحيدا للتشريع، وفي هذا يقول: الإمام محمد عبده: "وأريد أن يكون القرآن أصلًا تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين، لا أن تكون المذاهب أصلًا والقرآن هو الذي يحمل عليها، ويرجع بالتأويل أو التحريف إليها، كما جرى عليه المخذولون وتاه فيه الضالون[4].

سادسا – العناية بالإصلاح الاجتماعي:

(1) تفسير المنار (325/1).

(2) المصدر نفسه (9/ 459).

(3) ينظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير، د. فهد الرومي، 756/2. ينظر: تفسير المنار (484/2)، (351/1). وتفسير جزء تبارك: عبد القادر المغربي، ص55.

(4) فاتحة الكتاب: محمد عبده، ص46 .

لما كان من أهداف الاتجاه العقلي الاجتماعي إصلاح المجتمعات، وقفوا عند تفسير كلّ آية تتعلق بالإصلاح الاجتماعي، واتخذوا منها مدخلًا إلى الإصلاح؛ ومن مظاهر الإصلاح الاجتماعي الذي تناولوه:

1. الحرية: وتشتمل على حرية المعتقد، والحرية السياسية.
2. التحذير من البدع والمنكرات في العقائد: وهذا السبيل في الإصلاح منتشر في تفاسيرهم وبكثرة، فقد كانت العقائد الإسلامية في عصرهم يشوبها كثير من البدع والخرافات.
3. الجانب التهذيبي:وعُنِيَ أربابُ المدرسة ببيان الفضيلة، ودعوة المجتمع إليها، وبيان الرذيلة، وتحذير المجتمع منها.
4. الإصلاح الاقتصادي: وحاول رجال هذا الاتجاه إصلاح الاقتصاد في البلاد حسبما فهموه من نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة؛ فكان لهم صولات وجولات على مستوى الدولة بين الساسة والقادة، وعلى مستوى العامة بين الفلاحين والعمال، وفيما أودعوه في كتبهم من بيان لمزايا الشريعة الإسلامية في إدارة الأموال.
5. عنايتهم بقضايا المرأة: تناول رجال أعلام الاتجاه العقلي الاجتماعي في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم قضايا المرأة المختلفة، وحاولوا أن يصلحوها على ضوئها، وأن يبثوا من خلال تفسيرها ما يرون فيه إصلاحًا لأوضاع المرأة[1].

سابعا – التحذير من الإطناب في بيان مبهم القرآن:

فقد رفع أصحاب الاتجاه العقلي الاجتماعي أصواتهم، ودعوا إلى تنقية التفاسير مما عَلَقَ بها من أحاديث وضعها القصاص والوضاعون في بيان مبهم في القرآن الكريم.

فهذا الإمام محمد عبده، عند تفسيره لقوله تعالى: [فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ]، قال: "ومن عجيب ما قاله بعض المفسرين: "إنه ميزان بلسان وكفتين كأطباق السماوات والأرض، ولا يعلم ماهيته إلا الله"!، فماذا بقي من ماهيته بعد لسانه وكفتيه حتى يفوض العلم فيه إلى الله؟! والكلام فيه جرأة على غيب الله بغير نص صريح متواتر عن المعصوم، ولم يرد في الكتاب إلا كلمة الميزان، وقدر ما يمكننا أن نفهم منها لننتفع بما نعتقد، وما عدا ذلك فعلمه إلى الله سبحانه...

(1) ينظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير، د. فهد الرومي، 2/775 -794.

وعليك أيها المؤمن المطمئن إلى ما يخبر الله به أن تؤمن أن الله يزن الأعمال، ويميز لكل عمل مقداره، ولا تسل: كيف يزن؟ ولا كيف يقدر؟ فهو أعلم بغيبه، والله يعلم وأنتم لا تعلمون"[1].

ثامنا – العناية بالمناسبات بين سور وآيات القرآن الكريم:

لقد كانت عناية أعلام الاتجاه العقلي الاجتماعي بالمناسبات بين سور وآيات القرآن الكريم ظاهرة من خلال نصوصهم، وعدوا ذلك مسلكا سليما في فَهْم القرآن الكريم.

وفي هذا يقول الإمام محمد عبده: "ولعمري إنّ وجوه الاتصال بين الآيات وما فيها من دقائق المناسبات لهي ضرب من ضروب البلاغة، وفن من فنون الإعجاز، إذا أمكن للبشر الإشراف عليه فلا يمكنهم البلوغ إليه"[2].

ويقول السيد محمد رشيد رضا: "مَن نظر في ترتيب السور كلها في المصحف يرى أنه قد رُوعي في ترتيبها الطول والتوسط والقصر في الجملة"[3].

وقال عبد العزيز جاويش: "قد يغفل المفسر عمَّا بين آيات القرآن من الارتباط والتناسب، وما قد يفيد بعضها بعضًا من البيان أو التقييد؛ فيأخذها بالتأويل مفككة العرى مبددة النظم، حتى إذا استعصى عليه أمرها ونبا عقله عن فَهْمِها، لا يزال يركب في تأويلها صعاب المراكب"[4].

ويجعلون المناسبات مسلكا مهما للترجيح بين الآراء المختلفة للمفسرين، فيرجحون ما يرونه ملائمًا للسياق؛ فالإمام محمد عبده عند تفسيره لقوله تعالى: [مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير] ذكر آراء المفسرين، ثم قال: "هذا تقرير ما جرى عليه المفسرون في الآيات، وإذا وازنا بين سياق آية [مَا نَنْسَخْ] وآية [وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ] نجد أن الأولى ختمت بقوله تعالى: [أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير]، والثانية بقوله: [وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ]، ونحن نعلم شدة العناية في أسلوب القرآن بمراعاة هذه المناسبات، فذكر العلم والتنزيل ودعوى الافتراء في الآية الثانية يقتضي أن يُراد بالآيات فيها آيات الأحكام، وأما ذكر القدرة والتقرير بها في الآية الأولى فلا يناسب موضوع الأحكام ونسخها؛ وإنما يناسب هذا ذكر العلم

---

(1) ينظر: المرجع نفسه، 775/2. نقلا عن جزء عم: محمد عبده ص145، 146.

(2) تفسير المنار، (206/1).

(3) المصدر نفسه، (287/7).

(4) أسرار القرآن، عبد العزيز جاويش، ص117.

الإلهيات والنبوات والبعث، ناسب أن يذكر بعدها ما يتم ما أجمل فيها من الأحكام، ولا سيما أحكام القتال والمنافقين"[1].

تاسعا – العناية بإبراز الوحدة الموضوعية لسور وآيات القرآن الكريم:

كما يلاحظ في تعامل أعلام هذا الاتجاه عنايتهم الكبيرة بإبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وهدفها العام، وكثيرا ما يستعين المفسر منهم بوحدة موضوع السورة في ترجيح رأي على آخر.

فهذا الإمام محمد عبده يرفض تفسير الرزق في قوله تعالى: [كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا] (آل عمران: 37)، بأنه كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف.

ثم أورد التفسير الذي يراه موافقا للهدف العام للسورة، فقال: "أما ما سيقت القصة لأجله، وهو الذي يجب أن نبحث فيه، ونستخرج العبر من قوادمه وخوافيه، فهو تقرير نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ودحض شبه أهل الكتاب الذين احتكروا فضل الله، وجعلوه خاصًّا بشعب إسرائيل، وشبه المشركين الذين كانوا ينكرون نبوته لأنه بشر"[2].

المطلب الرابع – أعلام الاتجاه العقلي الاجتماعي في التفسير:

يظم هذا الاتجاه عددا من الأعلام الذين فسّروا القرآن الكريم كله، أو بعضه، أو بعض السور منه، نذكر أبرزهم فيما يلي:

- الإمام محمد عبده: سنذكر جهوده في التفسير فيما بعد.
- السيد محمد رشيد رضا: سنذكر جهوده في التفسير فيما بعد أيضا.
- عَبْد العَزِيز جاوِيش (1876م - 1929م)، من مؤلفاته: "أثر القرآن الكريم في تحرير الفكر البشري"، و "خواطر في التربية والسياسة"[3].
- الشيخ محمد مصطفي المراغي: (1881م – 1947م)، له تفسير لبعض السور، سورة لقمان، والحجرات، أو أجزاء من بعض السور، ونشر عدة مرات في الأزهر[4].

أولا – منهج الإمام محمد عبده في التفسير:

1. إنتاج الإمام محمد عبده في التفسير:

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 7/288، 289.

(2) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج3 ص293، 294. وينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (2/ 725- 726).

(3) الأعلام للزركلي، (4/ 17).

(4) مناهج المفسرين (ص: 340).

*اشتهر الإمام محمد عبده بتفسيره لجزء "عم" ذلك التفسير الذي أتم تأليفه سنة (1321 هـ)، وبذل جهده كما يقول: "في أن تكون العبارة سهلة التناول، خالية من الخلاف وكثرة الوجوه في الإعراب، بحيث لا يحتاج في فهمها إلا أن يعرف القارئ كيف يقرأ، أو السامع كيف يسمع، مع حسن النية وسلامة الوجدان"[1].

*وله أيضا تفسير سورة "العصر" كان قد ألقاه على هيئة محاضرات، في الجزائر سنة (1321 هـ - 1902م)[2].

*كذلك له بعض بحوث تفسيرية، عالج فيها بعض مشكلات القرآن، ودفع بها بعض ما أُثير حول القرآن من شكوك وإشكالات، كشرحه لقوله تعالى في سورة النساء: [وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هذه مِنْ عِندِ الله وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هذه مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ الله فَمَالِ هؤلاء القوم لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً](النساء:78)، وقوله في السورة أيضا: [مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ الله وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وكفي بالله شَهِيداً](النساء:78) وجمعه بين الآيتين. وتوفيقه بين ما يُظَن فيهما من تناف وتضاد، وهو نسبة أفعال العباد تارة إلى الله تعالى، وتارة إلى العبد" [3].

* ومن آثار الإمام أيضا في التفسير، الدروس التي ألقاها في الأزهر الشريف على تلاميذه، وقد ابتدأ بأول القرآن في غُرَّة المحرَّم سنة(1317هـ)، وانتهى عند تفسير قوله تعالى:[وَللَّهِ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأرض وَكَانَ الله بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً] (النساء:126)، وذلك في منتصف المحرَّم سنة (1323 هـ)، إذ توفي رحمه الله في السنة نفسها.

ولم يكتب الإمام عبده شيئا من تلك الدّروس التفسيرية، بل تتبعها وكتبها عنه تلميذه السيد رشيد رضا في مذكرات خاصة، ثم قام بنشرها في مجلته "المنار"، وكان يُطلع الأستاذ الإمام على ما أعده للطبع، كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه، فكان ربما يُنَقِّح فيه بزيادة قليلة، أو حذف كلمة أو كلمات. قال: "ولا أذكر أنه انتقد شيئاً مما لم يره قبل الطبع، بل كان راضياً بالمكتوب، معجباً به"[4].

2. مسلكه في التفسير:

التفسير عند الإمام محمد عبده قسمان:

---

(1) مقدمة تفسير جزء (عم)، ص02.

(2) تفسير المنار، (1/ 13).

(3) التفسير والمفسرون، (2/484-485).

(4) تفسير المنار (1/ 15). وينظر: المفسرون مدارسهم ومناهجهم، أ د فضل حسن عباس، (ص29 – 30).

أحدهما: جاف مبعد عن الله وعن كتابه، وهو ما يقصد به حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية، وهذا لا ينبغي أن يسمى تفسيرا، وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني وغيرهما.

ثانيهما: وهو التفسير الذي قلنا: إنه يجب على الناس – على أنه فرض كفاية – هو الذي يستجمع تلك الشروط لأجل أن تستعمل لغايتها، وهو ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام، ليتحقق فيه معنى قوله: (هدى ورحمة) ونحوهما من الأوصاف. فالمقصد الحقيقي وراء كل تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن. قال الأستاذ الإمام: وهذا هو الغرض الذي أرمي إليه في قراءة التفسير"[1].

1. **اعتماد الأستاذ على عقله الحر في التفسير:** كان الأستاذ الإمام يعتمد في دروسه وكتابته في التفسير على عقله الحر، وبهذا وصفه عثمان أمين بقوله: "لا يلتزم في التفسير كتاباً، وإنما يقرأ في المصحف، ويلقى ما يفيض الله على قلبه"[2].

وبهذا كان ينأى بنفسه عن قراءة مصادر التفسير قبل إلقاء الدروس حتى لا يتأثر بفهم غيره، وكل ما كان منه أنه إذا عرض له وجه غريب من الإعراب، أو كلمة غريبة في اللُّغة رجع إلى بعض كتب التفسير، ليرى ما كُتِب في ذلك، وقد ذكر ذلك بنفسه في قوله: "إنني لا أطالع عندما أقرأ، لكنني ربما أتصفح كتاب تفسير إذا كان هناك وجه غريب في الإعراب، أو كلمة غريبة في اللُّغة" [3].

يقول محمد حسين الذهبي: "كل هذا يدلنا على أن الأستاذ الإمام كان حراً في تفكيره وفهمه للقرآن، صريحاً في نقده ونُصحه للتفسير والمفسِّرين، جريئاً في ثورته على القديم، ودعوته إلى التحرر مما أحاط بالعقول من القيود، وما أوغلت فيه من الركود والجمود"[4].

2. **ترجيح العقل على الأحاديث الصحيحة:**

وتقريرا لما ذكر سابقا فإن الإمام عبده حكم عقله في كثير من الآيات، مع ثبوت أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، من ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: [إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ]،

---

(1) تفسير المنار (1/ 22).

(2) محمد عبده، عثمان أمين، (ص11).

(3) تفسير المنار، بتصرف، (14/1).

(4) التفسير والمفسرون، (490/2).

ذكر عددا من الآراء التي لا سند لها كالنبوة، والعلم، والحكمة، ونور القلب، والخير، ثم قال: "وأما أن هناك نهرا في الجنة اسمه الكوثر، وأن الله أعطاه نبيه فلا يفهم من معنى الآية الذي يدل عليه السياق وموضع نزولها، هو الذي بيناه من أحد القولين، والأول وهو النبوة وما في معناها أرجح.

أما الاعتقاد بوجود هذا النهر في الجنة فموقوف على تواتر الأخبار التي وردت به، وقد ذهب جماعة إلى أنها متواترة المعنى؛ فيجب الاعتقاد بوجود النهر على وجه عام دون تفصيل أوصافه لكثرة الخلاف فيها...

وبالجملة فخبر النهر من الأخبار الغيبية لا يجوز الاعتقاد به إلا بعد التيقن أنه ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم، فإذا وصلت فيه إلى اليقين الذي لا يجوز عندك تبدله، وكان علمك بصدوره عنه عليه السلام كعلمك بوجود مكة أو المدينة قبل أن تراهما فاعتقد به، وإلا ففوض الأمر إلى الله وقل: لا أعلم والله أعلم"[1].

3. عدم التكلف في شرح المبهمات:

يقوم منهج الشيخ محمد عبده على الدقة في الفهم، وذلك بالوقوف عند حدود ما ذكره القرآن، فلو كان في معرفة مبهمات القرآن حكمة ما أغفلها القرآن[2].

قال في تفسير قوله تعالى: [وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ] (الانفطار:10، 11): "ومن الغيب الذي يجب علينا الإيمان به ما أنبأنا به في كتابه: أن علينا حَفَظَة يكتبون أعمالنا حسنات وسيئات، ولكن ليس علينا أن نبحث عن حقيقة هؤلاء، ومن أي شيء خُلِقوا، وما هو عملهم في حفظهم وكتابتهم، هل عندهم أوراق وأقلام ومداد كالمعهود عندنا؟ أو هناك ألواح تُرسم فيها الأعمال؟ وهل الحروف والصور التي تُرسم هي على نحو ما نعهد؟ ... كل ذلك لا نُكَلَّف العلم به، وإنما نُكَلَّف الإيمان بصدق الخبر وتفويض الأمر في معناه إلى الله، والذي يجب علينا اعتقاده من جهة ما يدخل في عملنا، هو: أن أعمالنا تُحفظ وتُحصى، لا يضيع منها نقير ولا قطمير"[3].

---

(1) تفسير جزء عم، محمد عبده، ص165. ذكر ذلك مع ما صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم من بيان معنى الكوثر، فقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: "لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال: "أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر". صحيح البخاري، سورة إنا أعطيناك الكوثر، (6/ 178). وأخرجه مسلم أيضا في حديث طويل، عن أنس أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتدرون ما الكوثر؟ ". فقلنا الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة... ". صحيح مسلم، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة،(2/ 12).

(2) ينظر: المفسرون مدارسهم ومناهجهم، أ د فضل حسن عباس، (ص29 – 30).

(3) تفسير المنار (27/1).

قال السيد رشيد رضا: "وهذا مذهبه في جميع مبهمات القرآن، يقف عند النص القطعي لا يتعداه، ويثبت أن الفائدة لا تتوقف على سواه"[1].

وذكر محمد حسين الذهبي أن عدم خوض مدرسة المنار في تعيين ما أبهمه القرآن، كان نتيجة عدم الاغترار بالروايات الإسرائيلية، والأحاديث الموضوعة. فلم تجرؤ على الخوض في الكلام عن الأُمور الغيبية، التي لا تُعرف إلا من جهة النصوص الشرعية الصحيحة، بل قررت مبدأ الإيمان بما جاء من ذلك مجملاً، ومنعت من الخوض في التفصيلات والجزئيات، وهذا مبدأ سليم، يقف حاجزاً منيعاً دون تسرب شيء من خرافات الغيب المظنون إلى المعقول والعقائد[2].

4. إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية:

لقد كانت عناية الإمام عبده كبيرة بإبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وهدفها العام، وكثيرا ما يستعين بوحدة موضوع السورة في ترجيح رأي على آخر. وقد سبق أن تناولنا مثالا في ذلك.

5. عنايته بمشكلات عصره الاجتماعية:

لقد كانت للإمام محمد عبده نزعة إصلاحية تجلت في مظاهر متعددة، كالكتابة في الصحف، وتكوينه الجمعيات الخيرية والثقافية، وإصداره الفتاوى، وإغاثة المنكوبين والبؤساء، كما كان يدعو إلى إصلاح الأزهر بالطريقة التي يراها مناسبة، من تؤدة وحكمة، فلم يكن الإمام يؤمن بالعنف في الوصول إلى أهدافه الإصلاحية.

وقد تجلت هذه النزعة الإصلاحية لمجتمعه في أعماله التفسيرية، إذ نجده "لا يكاد يمر بآية من القرآن، يمكنه أن يأخذ منها علاجاً للأمراض الاجتماعية، إلا أفاض في ذلك بما يُصَوِّر للقارئ خطر العِلَّة الاجتماعية التي يتكلم عنها، ويُرشده إلى وسيلة علاجها والتخلص منها، كل هذا يأخذه الأستاذ الإمام من القرآن الكريم، ثم يُلقى به على أسماع المسلمين وغير المسلمين، رجاء أن يعودوا إلى الصواب"[3].

مثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: [إِنَّ الأبرار لَفِي نَعِيمٍ] (الانفطار: 13) يقول: "فلا يُعَد الشخص بَرا ولا باراً حتى يكون للناس من كسبه ومن نفسه نصيب، فلا يغترَّن أُولئك الكسالى الخاملون، الذين يظنون أنهم يدركون مقام الأبرار بركعات من الخشية خاليات، وبتسبيحات وتكبيرات، وتحميدات

---

(1) المصدر نفسه (1/ 266).

(2) التفسير والمفسرون، بتصرف، (401/2).

(3) المرجع نفسه، (496/2).

ملفوظات غير معقولات، وصيحات غير لائقات بأهل المروءة من المؤمنين والمؤمنات، ثم بصوم أيام معدودات، لا يجتنب فيها إيذاء كثير من المخلوقات، مع عدم مبالاة الواحد منهم بشأن الدين قام أم أسقط، ارتفع أو انحط. ومع حرصه وطمعه لما في أيدي الناس، واعتقاده الاستحقاق لما عندهم، لا لشيء سوى أنهم عاملون في كسب المال وهو غير عامل، وهم يجرون على سُنَّة الحق وهو مستمسك بسُنَّة الباطل، وهم يتجملون بحلية العمل وهو منها عاطل، فهؤلاء ليسوا من الأبرار، بل يجدر بهم أن يكونوا من الفُجَّار"[1].

6. استعماله نظريات العلم الحديث في التفسير:

بالإضافة إلى ما سبق نلاحظ أن الإمام محمد عبده يستعين بالنظريات العلمية الحديثة في تفسير عدد من آيات القرآن الكريم، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: [إِذَا السمآء انشقت](الانشقاق: 01) يقول: "انشقاق السماء، مثل انفطارها الذي مَرَّ تفسيره في سورة [إِذَا السمآء انفطرت]، وهو فساد تركيبها، واختلال نظامها، عندما يريد الله خراب هذا العالَم الذي نحن فيه، وهو يكون بحادثة من الحوادث التي قد ينجر إليه سير العالَم، كأن يمر كوكب في سيره بالقُرب من آخر فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره، ويحدث من ذلك غمام، يظهر في مواضع متفرقة من الجو، فتكون السماء قد تشققت بالغمام، واختل نظمها حال ظهوره"[2].

وذكر هذا المثال محمد حسين الذهبي، ثم عقب بقوله: "هذا التفسير من الأستاذ الإمام عمل جليل يُشكر عليه، إذ غرضه من ذلك تقريب معاني القرآن وما يُخبر به من عقول الناس، بما هو معهود عندهم ومُسَلَّم لديهم. ولكن هل لا بد في فساد الكون من أن يترتب على مثل هذه الظاهرة الكونية؟ وهل يعجز الله عن إفساده وإخلاله بأمر آخر غير ذلك؟ أليس الأولى بنا أن نؤمن بما جاء به القرآن، ولا نخوض فيما وراء ذلك من تفصيلات كما هو مذهب الشيخ؟ أحسب أن الشيخ يضرب ذلك مثلاً، ولا يريده على أنه أمر لا بد منه"[3].

2. منهج السيّد محمد رشيد رضا:

ألّف الشيخ محمد رشيد رضا تفسيره المسمى بتفسير القرآن الحكيم، والمشهور بتفسير المنار، ابتدأ بأول القرآن وانتهى عند قوله تعالى: [رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الملك وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأحاديث فَاطِرَ

(1) تفسير جزء عم، (ص37).

(2) المصدر نفسه، (ص49).

(3) التفسير والمفسرون، (2/497-498).

السماوات والأرض أَنتَ وَلِيِّي فِي الدنيا والآخرة تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بالصالحين](يوسف:101).. ثم عاجلته المنية قبل أن يتم تفسير القرآن كله.

وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار تفسير سورة يوسف، وطبع تفسير هذه السورة بتمامها في كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ رشيد رحمه الله.

كما فسَّر الشيخ من القصار: سورة الفاتحة، والكوثر، والكافرون، والإخلاص، والمعوذتين[1].

يقول محمد حسين الذهبي: "ولا نعرف له إنتاجاً في التفسير أكثر من هذا، وهو إنتاج لا بأس به، وفيه تتجلى روح الأستاذ الإمام ممزوجة بروح تلميذه، فالمصادر هي المصادر، والهدف هو الهدف، والمنهج هو المنهج، والأفكار هي الأفكار، ولا فرق بين الرجلين إلا فيما هو قليل نادر"[2].

مسلكه في تفسيره:

1. نقده لمصنفات التفسير:

لم يكن السيد محمد رشيد رضا مسلما ولا مقلدا لما حوته جل مصنفات التفسير من اجتهادات في فهم نصوص القرآن الكريم، بل كان له رأي تقويمي دعته ضرورة واقع الأمة الإسلامية المتهاوي، فقال في وصفته النقدية: "كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو، ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين، وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات، وقد زاد الفخر الرازي صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان، تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن.

وأما الروايات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء التابعين في التفسير فمنها ما هو ضروري أيضا؛ لأن ما صح من المرفوع لا يقدم عليه شيء، ويليه ما صح عن علماء الصحابة مما

---

(1) المرجع نفسه، بتصرف، (2/506 – 507). وينظر: المفسرون مدارسهم ومناهجهم، أ د فضل حسن عباس، (ص96).

(2) التفسير والمفسرون، (2/507).

يتعلق بالمعاني اللغوية أو عمل عصرهم، والصحيح من هذا وذاك قليل. وأكثر التفسير المأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب"[1].

2. خصائص منهجه في التفسير:

ذكر محمد حسين الذهبي أن منهج السيّد محمد رشيد رضا هو عَيْن منهج الأستاذ الإمام، فلا تقيد بأقوال المفسِّرين، ولا تحكم للعقيدة في نص القرآن، ولا خوض في إسرائيليات، ولا تعيين لمبهمات، ولا تعلق بأحاديث موضوعة، ولا حشد لمباحث الفنون، ولا رجوع بالنص إلى اصطلاحات العلوم، بل شرح للآيات بأسلوب رائع، وكشف عن المعاني بعبارة سهلة مقبولة، وتوضيح لمشكلات القرآن، ودفاع عنه يرد ما أُثير حوله من شبهات، وبيان لهدايته، ودلالة إلى عظيم إرشاده، وتوقيف على حكم تشريعه، ومعالجة لأمراض المجتمع بناجع دوائه، وبيان لسنن الله في خليقته[2].

ويمكن جمع خصائصه في الأمور الآتية:

- عنايته بالتحقيقات اللغوية.
- بيانه لحكمة التشريع، وبيان سنن الله في العمران والاجتماع.
- استشهاده بآراء المتكلمين، في آيات العقيدة ومناقشتهم.
- ابتعاده عن الخرافات والإسرائيليات، ووقوعه فيما هو أخطر منها.
- استقلال شخصيته.
- رده لبعض الأحاديث المأثور.
- غيرته، ودفاعه عن الإسلام.
- تشديده على المخالفين له في الرأي.
- كثرة التفريعات والاستطرادات[3].

3. يتوافق السيد محمد رشيد رضا أيضا مع شيخه في الهدف العام في التفسير، فإذا كان الأستاذ الإمام يُصَرّح بأن هدفه من التفسير هو "فهم الكاتب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة". فإن محمد رشيد رضا يُصَرّح بمثل ذلك في كثير من

---

(1) تفسير المنار (1/ 08).

(2) التفسير والمفسرون، (508/2). ينظر: المفسرون مدارسهم ومناهجهم، أ د فضل حسن عباس، (ص96).

(3) ينظر: المفسرون مدارسهم ومناهجهم، أ د فضل حسن عباس، (ص101 – 102).

مواضع كتابه[1]، فيقول: "إن حاجة الناس صارت شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة، المنزَّلة في وصفه. وما أُنزِل لأجله، من الإنذار، والتبشير والهداية، والإصلاح"[2].

4. لم يلتزم السيّد محمد رشيد رضا بجميع مسائل منهج شيخه محمد عبده، بل اختار لنفسه مخالفته في بعض جوانب المنهج، وفي هذا يقول: "وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه بالتوسّع فيما يتعلق بالآية من السُّنَّة الصحيحة، سواء أكان تفسيراً لها، أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات، أو الجمل اللُّغوية، والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتدّ حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها. بما يطمئن به القلب، وتسكن إليه النفس، وأستحسن للقارئ أن يقرأ الفصول الاستطرادية الطويلة وحدها في غير الوقت الذي يقرأ فيه التفسير لتدبر القرآن والاهتداء به في نفسه، وفي النهوض بإصلاح أمته وتجديد شباب ملته الذي هو المقصود بالذات منه، وأسأله أن يخصني والأستاذ بدعواته الصالحة"[3].

4. **خطوات التفسير لدى محمد رشيد رضا:**

إن طريق السيد محمد رشيد رضا مثل طريقة غيره من المفسرين، والخطوات ذاتها، فبعد حديثه عن بعض خصائص السورة كمكيتها أو مدنيتها، وعدد آياتها، ومناسبتها لما قبلها، يأخذ الآيات ويفسرها، إلى نهاية السورة.

لكن الجديد في عمل السيّد أنه يأتي بخلاصة للسورة في آخرها، عدا سورة البقرة فقد أوردها في أولها، وهذه الخلاصة ربما تنتظم أبوابا وفصولا[4].

ومثال ذلك: أنه ذكر خلاصة لسورة الأعراف، تتضمن ستة أبواب:

الباب الأول: توحيد الله تعالى إيمانا وعبادة وتشريعا وصفاته وشؤون ربوبيته.

الثاني: الوحي والكتب والرسالة والرسل.

الثالث: الآخرة والبعث والجزاء.

---

(1) التفسير والمفسرون، بتصرف، (508/2).

(2) تفسير المنار (17/1).

(3) تفسير المنار (1/ 16).

(4) ينظر: المفسرون مدارسهم ومناهجهم، أ د فضل حسن عباس، (ص100).

الرابع: أصول التشريع وبعض قواعد الشرع العامة.

الخامس: آيات الله وسننه في الخلق والتكوين.

والسّادس: سنن الله تعالى في الاجتماع والعمران البشري، وشؤون الأمم، المعبر عنه في عرف عصرنا بعلم الاجتماع[1].

ثم فصّل الكلام في كل باب من الأبواب الستّة بما يفي ببيان ما سبق ذكره في تحليل آيات السورة".

3. بعض آرائه في التفسير:

إن آراء السيد محمد رشيد رضا في التفسير كآراء شيخه، تقوم على حرية واسعة في الرأي واعتداد عظيم بالفهم، وثقة قوية بما عنده من العلم، وعدم تقيد ببعض المسَلَّمات عند العلماء، ولهذا نجد له أفكاراً غريبة في تفسير القرآن استقل ببعض منها، وقلَّد شيخه في بعضها الآخر، منها:

– يرى أن صاحب الكبيرة التي في درجة أكل الربا وقتل العمد إذا مات ولم يتب منها يخلد في النار، ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: [وَمَنْ عَادَ فأولئك أَصْحَابُ النار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ](البقرة: 275)[2].

– يرى أن الشّياطين لا سلطان لها على الإنسان إلا بالإغواء فقط [3].

– كما يرى أن الجن لا تُرى للإنسان، ويرجح أن مَن ادَّعى رؤية الجن فذلك وهم منه وتخيل، ولا حقيقة له في الخارج، أو لعله رأى حيواناً غريباً كبعض القردة فظنه أحد أفراد الجن[4].

ولا يتردد في تأييد موقفه هذا حتى إن تطلب ردّ أحاديث ثابتة لدى المحدثين"[5].

– أيضا صاحب المنار لا يرى السّحر إلا ضرباً من التمويه والخداع، وليس له حقيقة كما يقول أهل السُّنَّة، وهو يوافق بهذا القول قول شيخه وقول المعتزلة من قبله[6].

– كما أن صاحب المنار يذهب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم مذهباً متشددا، فينفي المعجزات المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم فينكر بعض معجزاته الكونية،

---

(1) تفسير المنار (9/ 466). وينظر: المفسرون مدارسهم ومناهجهم، أ د فضل حسن عباس، (ص100).

(2) ينظر: تفسير المنار (3/1).

(3) ينظر: تفسير سورة الناس، (ص141).

(4) التفسير والمفسرون، بتصرف، (513/2).

(5) تفسير المنار (7/ 516).

(6) التفسير والمفسرون، (512/2).

ويتأوَّل ما يشهد لها من آيات، ويجحد صحّة ما يقوم بإثباتها من الأحاديث، وما يُسَلِّمه من بعض الآيات الكونية فهو في نظره إكرام للنبي من ربه، وليس من قبيل المعجزة، أو الحُجَّة على صدق دعوته[1].

(1) المرجع نفسه، بتصرف، (514/2).

المبحث الثالث – الاتجاه العلمي

المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي :

عرفه الأستاذ أمين الخولي بقوله:"هو التفسير الذي يُحَكِّمُ الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"[1].

وعرفه الدكتور موسى شاهين لاشين بقوله: "يقصد بالتفسير العلمي التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويحاول استخراج العلوم المختلفة من آياته"[2].

وعرفه الدكتور فهد الرومي: بقوله: "المراد بالتفسير العلمي هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن، يدل على مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان"[3].

المطلب الثاني: موقف علماء العصر الحديث من التفسير العلمي:

لم يكن الحديث عن هذا اللون من التفسير وليد العصر الحديث، بل كان موجدا منذ أواخر القرن الخامس الهجري، فقد كان الإمام الغزالي (ت505هـ) من أوائل من تناولوا هذا اللّون بالشّرح والبيان، ومن بعده الإمام الرازي (ت606هـ)، الذي أكثر منه في تفسيره، ومن بعده الإمام الزركشي (ت794هـ)، الذي عقد له فصلا خاصا في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، والإمام السيوطي (ت911هـ) في كتابه "الإتقان في علوم القرآن"، وغيرهم.

ومن المعارضين القدامى أبو حيان الأندلسي(ت745هـ) في كتابه"البحر المحيط"، والإمام الشاطبي (ت790هـ) في كتابه "الموافقات في أصول الأحكام".

أما موقف العلماء والباحثين في العصر الحديث من اتجاه التفسير العلمي، فنبيّنه فيما يلي:

أولا– المؤيدون للتفسير العلمي للقرآن الكريم: نذكر منهم:

1. **طنطاوي جوهري:** فقد كان من المؤيدين لهذا اللون من التفسير، وشكّل تفسيره الجانب التطبيقي لرؤيته، ومن بين النّصوص التي تبيّن موقفه: "إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام، فهذا زمان الانقلاب

(1) التفسير معالم حياته، منهجه اليوم: أمين الخولي ص19-20.

(2) اللآلئ الحِسَان في علوم القرآن: موسى شاهين لاشين ص377.

(3) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (ص549).

وظهور الحقائق، والله يهدي مَن يشاء إلى سواء الصراط"[1]. وسنفصّل القول في منهجه وخصائص تفسيره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

2. **محمد بن أحمد الإسكندراني (1889م)**[2]: من مصنفاته (كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية)، عرّف في مقدمته بموضوع علم التفسير فقال:"فموضوع علم التفسير كلام الله تعالى الذي يُتوصل به إلى معرفة الأجرام السماوية والأرضية...ولا شك أن لهذه الأجرام المشار إليها والآثار مؤثر؛ وهو الإله الموجد للعقول والنفوس والأجسام الفلكية والعنصرية"[3].

3. **عبد الرحمن الكواكبي (ت1902م)**: يذهب إلى احتواء القرآن الكريم على معارف علمية، لم يدر عنها السابقون شيئا، وتظهر كلما ازداد العلم تطورا، ويرى أن هذا اللون يعتبر من الإعجاز القرآني، يقول: "إن العلم كشف في هذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع كثيرة، تُعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوربا وأمريكا، والمدقق في القرآن يجد أكثرها ورد به التصريح أو التلميح في القرآن منذ ثلاثة عشر قرنًا، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء إلا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن، شاهدة بأنه كلام ربٍّ لا يعلم الغيب سواه"[4].

4. **محمد مصطفي المراغي: (ت1947م)**: وأيَّد التفسير العلمي الشيخ محمد المراغي فقال في مقدمته لكتاب "الإسلام والطب الحديث": "قرأت لسعادة الطبيب عبد العزيز إسماعيل باشا نتفًا مما كان يُكتب له بمجلة الأزهر تحت عنوان "الإسلام والطب الحديث"؛ فأعجبني منه ما توخاه من التوفيق بين معاني بعض الآيات القرآنية الكريمة وبين مقررات الطب الحديث، وحمدت له هذه النزعة العلمية التي لو تحلى بها كل مبرز في فرع من فروع العلم؛ لاجتمع لدينا ذخر عظيم من هذه التطبيقات الثمينة، تستفيد منه النابتة الحديثة زيادة معرفة بإعجاز القرآن، وإيقان بأن الله ما فرط في كتابه من شيء. لست أريد من هذا أن أقول: إن الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلًا بالأسلوب التعليمي المعروف؛ وإنما أريد أن أقول: إنه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته والعمل به؛ ليبلغ درجة الكمال جسدًا ورُوحًا، وترك

---

(1) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري (3/19-20).

(2) هو طبيب، باحث، من أهل الإسكندرية. عمل في العسكرية البحرية بمصر إلى سنة 1256هـ ورحل إلى دمشق فتولى رياسة أطباء الجيش إلى سنة 1258وتوفي بدمشق. ينظر: الأعلام للزركلي (21/6).

(3) كشف الأسرار النورانية: محمد أحمد الإسكندراني، (3/1).

(4) طبائع الاستبداد: عبد الرحمن الكواكبي، ص44.

الباب مفتوحًا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة؛ ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها في الزمان الذي هم عائشون فيه"[1].

5. **جمال الدين القاسمي (1914هـ)**: يرى أن الحقائق العلمية الواردة في القرآن الكريم، والتي تم اكتشافها حديثا تعد من معجزات القرآن الكريم، وفي هذا يقول في تفسير قوله تعالى: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً- إلى قوله: فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ] (النور: 43):"فالنّاس قديما فهموا أمثال هذه الآية بما يوافق علومهم، حتى إذا كشف العلم الصحيح عن حقائق الأشياء، علمنا أنهم كانوا واهمين، وفهمنا معناها الصحيح. فكأنّ هذه الآيات جعلت في القرآن معجزات للمتأخرين، تظهر لهم كلما تقدّمت علومهم"[2].

6. **عبد الحميد بن باديس (1940م)**: عند تفسير لقوله تعالى: [أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ] (النمل 25). خص بندا عنونه بـ"تشويق القرآن إلى علوم الأكوان"، وقال فيه: "من أساليب الهداية القرآنية إلى العلوم الكونية أن يعرض علينا القرآن صوراً من العالم العلوي والسفلي في بيان بديع جذاب يشوقنا إلى التأمل فيها، والتعمق في أسرارها، وهنا يذكر لنا ما خبأه، في السموات والأرض لنشتاق إليه. وننبعث في البحث عنه، واستجلاء حقائقه، ومنافعه بدافع غريزة حب الاستطلاع ومعرفة المجهول"[3].

7. **رأي محمود شكري الألوسي (1921هـ)**: قال في مقدمة كتابه "ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان":

"اعلم أن الشريعة الغراء لم ترد باستيعاب قواعد العلوم الرياضية؛ إنما وردت بما يستوجب سعادة المكلفين في العاجل والآجل، وبيان ما يتوصلون به إلى الفوز بالنعيم المقيم، وربما أشارت لهذه الأغراض إلى ما يستنبط منه بعض القواعد الرياضية.

وقد ورد القرآن الكريم -في بيان ذلك- بما خاطب به العرب مما يعلمونه من علوم تلقوها خلفًا عن سلف، فقد كانت لهم علوم ذكرناها في الكتاب الذي ألفناه في بيان أحوالهم... فَكَانَ من علومها "علم النُّجُوم" وَمَا يخْتَص بهَا من الاهتداء فِي الْبر وَالْبَحْر وَاخْتِلَاف الْأَزْمَان باخْتلَاف سَيرهَا..."[4].

---

(1) الإسلام والطب الحديث: عبد العزيز إسماعيل، مقدمة الشيخ محمد مصطفي المراغي ص5، 6.

(2) محاسن التأويل، (212/1 - 213).

(3) مجالس التذكير، ابن باديس، (ص276).

(4) ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان (ص 12 - 13).

ثانيا – المعارضون للتفسير العلمي للقرآن الكريم: نذكر منهم:

1. محمود شلتوت (ت1963م):

جعل الإمام شلتوت تفسير القرآن الكريم بالاكتشافات العلمية العصرية من أبرز المظاهر التي تجب أن ينزّه القرآن عنها، فقال في تفسيره: "...فإن طائفة أخرى هي طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث، وتلقنوا أو تلقفوا شيئًا من النظريات العلمية والفلسفية والصحية وغيرها، أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة، ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها.

نظروا في القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول: [مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ] (الأنعام: 38)؛ فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا في القرآن فتحًا جديدًا؛ ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة ...".

"هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك؛ لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابًا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف...فلندع للقرآن عظمته وجلالته، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته، ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارة إلى أسرار الخَلْق وظواهر الطبيعة؛ إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر؛ ليزداد الناس إيمانًا مع إيمانهم. وحسبنا أن القرآن لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول"[1].

2. أمين الخولي (ت1966م):

للأستاذ أمين الخولي رسالة بعنوان "التفسير معالم حياته منهجه اليوم"، عقد فيها مبحثًا عن "إنكار التفسير العلمي"، تناول فيه قِدَمَ المخالفة في صحّة الاتجاه العلمي، وعرض فيه أدلة الشاطبي، وأقواله في إنكار هذا اللون من التفسير. وضمّ إليها من النظرات الحديثة ما يؤيدها ويعززها؛ منها: الناحية اللغوية، والبلاغية، والعقدية.

وأما ما اتجهت إليه النوايا الطيبة من جعل الارتباط بين كتاب الدين والحقائق العلمية المختلفة ناحية من نواحي بيان صدقه أو إعجازه أو صلاحيته للبقاء ... إلخ، فربما كان ضَرُّه أكثر من نفعه، على أنه إن كان لَا بُدَّ لأصحاب هذه النوايا ومَن لف لفهم من أن يتجهوا إليه؛ ليدفعوا مناقضة الدين للعلم، فلعله يكفي في هذا ويفي، ألا يكون في كتاب الدين نص صريح يصادم حقيقة علمية

(1) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، بتصرف ص11، 13، 14.

يكشف البحث أنها من نواميس الكون ونظم وجوده، وحسب كتاب الدين بهذا القدر صلاحية للحياة ومسايرة للعلم وخلاصًا من النقد"[1].

3. عباس محمود العقاد:(ت1964 م):

رفض عباس العقاد أن يطلب من القرآن الكريم مطاقة علوم العصر، فقال: "فلا يطلب من كتب العقيدة أن تطابق مسائل العلم، كلما ظهرت مسألة منها لجيل من أجيال البشر، ولا يطلب من معتقديها أن يستخرجوا من كتبهم تفصيلات تلك العلوم، كما تعرض عليهم في معامل التجربة والدراسة؛ لأن هذه التفصيلات تتوقف على محاولات الإنسان وجهوده، كما تتوقف على حاجاته وأحوال زمانه"[2]. واستند العقاد في رفضه للتفسير العلمي إلى تجدد العلوم، وأنها لا تستقر على حال.

وبعد أن ذكر جملة الأخطاء في التفسير العلمي، عقب بقوله: "كلَّا، لا حاجة بالقرآن الكريم إلى مثل هذا الادعاء؛ لأنه كتاب عقيدة يخاطب الضمير، وخير ما يطلب من كتاب العقيدة في مجال العلم أن يحث على التفكير، ولا يتضمن حُكْمًا من الأحكام يشل حركة العقل في تفكيره، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع، وكل هذا مكفول للمسلم في كتابه"[3].

4. محمد كامل حسين (ت1961م):

كان من أشد المعرضين لهذا اللون من التفسير، إلى حدّ وصفه بالبدعة الحمقاء، في فصل عنونه بـ "التفسير العلمي بدعة حمقاء" وقال فيه: "كنت أحسب أن أمر هذه البدعة لا يُعنَى به أحد ولا يقام له وزن حتى اعتنقها طبيب كبير، وقال بها قاضٍ ممتاز، ودافع عنها كيميائي معروف، وخُيِّل إلى الناس أن مفكرين وعلماء من هذا الطراز إذا قالوا: إن العلم الحديث موجود في القرآن؛ فلا بد أن يكون قولهم حقًّا"[4].

ويبرر إنكاره لهذا الاتجاه بقوله: "إنه دعوى لا دليل عليها، ولا حاجة للمؤمنين بها، وأن هذه الآيات يجب أن تُفهم على ما فهمه المسلمون الأولون؛ حيث قالوا: هذا شيء نؤمن به ولا نصوره تصويرًا واقعيًّا، والذين يفسرون الآيات الكونية تفسيرًا علميًّا يدلّون بذلك على ضعف إيمانهم"[5].

---

(1) التفسير معالم حياته منهجه اليوم: أمين الخولي، بتصرف، ص25، 26.

(2) نقلا عن اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (585/2).

(3) نقلا عن المرجع نفسه، (585/2).

(4) نقلا عن اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (588/2).

(5) نقلا عن المرجع نفسه، (588/2).

5. سيد قطب (ت1967م) :

يؤكد سيد قطب في أكثر من موضع في تفسيره أن موضوع القرآن هو هداية الإنسان من حيث اعتقاده وسلوكاته وأعماله، فقال: "إن مادة القرآن التي يعمل فيها هي الإنسان ذاته: تصوره واعتقاده، ومشاعره ومفهوماته، وسلوكه وأعماله، وروابطه وعَلاقاته"[1].

ثم يضيف قائلا: "وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها، كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه! إن القرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها؛ لأنه هو الإنسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات وينتفع بها"[2].

المطلب الثالث – الأسس التفسير العلمي:

وحتى لا يكون هناك شطط في هذا الموضوع بين متساهل مفرط، أو متشدد رافض مطلقا، نورد فيما يلي جملة من الأسس يجب الالتزام بها، لكل من يفسر القرآن الكريم تفسيرًا علميًّا:

1. موافقة اللغة موافقة تامة بحيث يطابق المعنى المفسر المعنى اللغوي. مثال مخالفة اللغة تفسير الطير بالحجارة في قوله تعالى: [وأرسل عليهم طيرا أبابيل](الفيل 03) .
2. عدم مخالفة صحيح المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ما له حكم المرفوع. ومثال مخالفة صحيح المأثور تفسير قوله تعالى: [فارتقب يوم يات السّماء بدخان مبين] (الدخان10).بما يدل على نهاية الأرض.
3. موافقة سياق الآيات بحيث لا يكون التفسير نافرا عن السّياق. ومثال مخالفة السياق تفسير بعضهم قوله تعالى: [إنها عليهم موصدة في عمد ممددة] (الهمزة 8 -9). بأنها إشارة إلى الكهرباء، وهي حديث عن الأشعة، وهو رأي بعيد غير مقبول، لأن الآيات تتحدث عن يوم القيامة، وما أعد من عذاب للمجرمين.
4. التحذير من أن يتعرض التفسير العلمي لأخبار وشؤون المعجزات أو اليوم الآخر. كتفسير بعضهم لقوله تعالى: [ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون] (الهمزة 8 -9). بأنّه يقصد به ما بين نفختي الصور، وأن المدة ألف سنة.

---

(1) في ظلال القرآن (181/1).

(2) في ظلال القرآن (181/1).

5. أن لا يكون التفسير حسب نظريات وهمية متداعية، بل لا بد أن يكون حسب الحقائق العلمية الثابتة. كتفسير (الخلق) حسب نظرية دارون في التطور[1].

المطلب الثالث:المؤلفات والمؤلفون في التفسير العلمي في العصر الحديث:

ذهب كثير من العلماء والباحثين المؤيدين لهذا الاتجاه إلى التأليف في هذا اللون من التفسير، فمنهم من تتبع آيات العلمية في القرآن الكريم من أوله إلى آخره، ومنهم من تناول بعض الآيات فقط، ومنهم من تناول بعض الموضوعات الكونية، مستعملا الآيات القرآنية في دراسته، وفيما يلي نذكر أهم تلك المؤلفات على أن نفرد واحدا منها بالدراسة، ونترك بقية المراجع للتفصيل فيها في حصة التطبيق.

1- كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية، والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية: لمحمد بن أحمد الإسكندراني (1889م).

2- ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان: لمحمود شكري الألوسي(1902م).

3- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: لعبد الرحمن الكواكبي(1921هـ).

4- الجواهر في تفسير القرآن الكريم: لطنطاوي جوهري(1940م).

5- القرآن والعلوم العصرية[2]: لطنطاوي جوهري.

6- القرآن ينبوع العلوم والعرفان: لعلى فكري (1953م)[3].

(1) التفسير أساسياته واتجاهاته، فضل حسن عباس، ص623- 624.

(2) الكتاب رسالة صغيرة لا تتجاوز صفحاتها 85 ورقة من الحجم المتوسط، صدرت طبعتها الثانية، سنة 1371 هـ من مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي.

(3) الأعلام للزركلي (4/ 319).

نموذج الدراسة: الجواهر في تفسير القرآن الكريم: لطنطاوي جوهري(1940م) [1]:

1. التعريف بكتاب الجواهر:

سمى طنطاوي جوهري تفسيره "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" لأنه جعل الجوهرة بدل الباب والفصل. وذكر طنطاوي جوهري محتوى ما بين دفتي تفسيره، فقال: "وهاهو ذا خمسة وعشرون مجلدا ضممته خلاصة آراء حكمة اليونان وآبائنا أيام جدهم، وحكمة علماء عصرنا بأوربا، ونموذج التاريخ وأحوال الإسلام العامة في زماننا"[2].

ولتفسيره هذا ملحق قال في مقدّمته: "أما بعد، فإنا قد كتبنا في مواضع من كتاب "الجواهر في تفسير القرآن"أنا سنتبعه بملحق يوضح بعض ما أغفلناه في ذلك التفسير... وسنذكر إن شاء الله ما سنراه موسّعا للمعارف في أمم الإسلام، ونبتدئ بسورة الفاتحة، وفي أولها البسملة، وهكذا سورة بعد سورة" [3].

2. الباعث على تأليفه:

كان الشيخ طنطاوي جوهري "مغرماً بالعجائب الكونية معجباً بالبدائع الطبيعية، مشوقاً إلى ما في السماء من جمال، وما في الأرض من بهاء وكمال، آيات بينات وغرائب باهرات، شمس تدور وبدر يسير ونجم يضيء وسحاب يذهب ويجيء، وبرق يتألق، وكهرباء تخترق، ومعدن بهي، ونبات سني، وطير يطير، ووحش يسير، وأنعام تسري، وحيوان يجري"[4].

ثم تأمل حال الأُمة الإسلامية وتعاليمها الدينية، فألفى أكثر العقلاء وبعض أجِلَّة العلماء عن تلك المعاني معرضين، وعن التفرج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم مَن فَكَّر في خلق العوالِم وما أُودع فيها

---

(1) طنطاوي بن جوهري المصري: ولد في قرية عوض الله حجازي، من قرى (الشرقية) بمصر سنة (1287هـ - 1870م)، وتعلم في الأزهر، ثم في المدرسة الحكومية. وعني بدراسة الإنكليزية. ومارس التعليم في المدارس الابتدائية، ثم في مدرسة دار العلوم. وألقى محاضرات في الجامعة المصرية. وناصر الحركة الوطنية، فوضع كتابا في (نهضة الأمة وحياتها)، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة. وصنف كتبا أشهرها: (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) في 26 جزءا، و(جواهر العلوم)، و(النظام والإسلام)، و(التاج المرصع)، و(نظام العالم والأمم)، و(الأرواح)، و(أين الإنسان)، و(أصل العالم)، و(الحكمة والحكماء) و(ميزان الجوهر) في عجائب الكون وغيرها، وتوفي بالقاهرة سنة (1358هـ - 1940 م). ينظر: الأعلام للزركلي (230/3 - 231). ومعجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف سركيس، (1243/2 - 1244).

(2) تفسير المنار (). ذكر د. فهد الرومي أنه جاء في آخر هذا الملحق: تم طبع الجزء الأول من "ملحق الجواهر: تفسير القرآن"، مما يدل على أن المؤلف سيضيف إلى هذا الملحق جزءًا آخر. ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (2/ 639).

(3) ملحق الجواهر في تفسير القرآن الكريم، 2/1.

(4) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، 2/1.

من الغرائب، فأخذ يؤلّف كتباً شتى كـ "نظام العالَم والأمم"، و"جواهر العلوم"، قال: "مزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وجعلت آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنع وحكمة الخلق"[1].

ومن الوسائل التي برر بها لعمله التفسيري هذا أنه يسوغ سؤالا ثم يجيب عليه، فيقول: "...لماذا ألَّف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب الإسلامية في علم الفقه، وعلم الفقه ليس له في القرآن إلا آيات قلائل، لا تصل مائة وخمسين آية، فلماذا كثر التأليف في علم الفقه وقل جدًّا في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة؛ بل هي تبلغ 750 آية صريحة، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة، فهل يجوز في عقل أو شرع أن يبرع المسلمون في علم آياته قليلة ويجهلون علمًا آياته كثيرة جدًّا، إن آباءنا برعوا في الفقه؛ فلنبرع نحن الآن في علم الكائنات، لنقم به لترقى الأمة"[2].

يقول الشيخ محمد فضل عباس: "ومن هنا ندرك أن هذا التفسير موسوعة علمية، أشبه ما يكون بدائرة معارف، وندرك ذلك ما يعلقه الشيخ من أهمية على تفسيره، وما يرتسم في نفسه وكلماته من آمال مشرقة ومن مستقبل زاهر سيحدثه هذا التفسير لهذه الأمة[3].

لقد كان يرجو أيضا من تفسيره هذا "أن يشرح الله به قلوباً، ويهدى به أُمماً، وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين، فيفهموا العلوم الكونية"[4].

3. خطوات طنطاوي جوهري في تفسيره:

- يورد مقدمة للسورة التي يريد تفسيرها. وربما يورد ملخصا لها.
- ثم يقسم السورة إلى أبواب عامة، ويقسم هذه الأبواب، إلى مقاصد وفصول، حسب ما يتراءى له، وهذه الطريقة يتبعها كثير من المفسرين المحدثين...إلا أن هذا التقسيم يختلف باختلاف نظر المفسر واجتهاده. فمثلا:سورة البقرة يقسمها بابين:

الأول – إلى قوله تعالى: [ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب](البقرة177).

والثاني – إلى آخر السورة. وقسم كل باب إلى مقاصد، وهي تعني فصول الباب، مثل: مدح القرآن، بشارة المؤمنين، ذم المنافقين الكاذبين...إلخ.

- وقسم سورة آل عمران إلى عشرة أقسام، وقسم سورة النساء إلى مقاطع[5].

---

(1) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، بتصرف 2/1.

(2) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، 55/25.

(3) المفسرون مدارسهم ومناهجهم، أ د فضل حسن عباس، (ص306 – 307).

(4) نقلا عن تفسير والمفسرون (442/2).

وهو في كل مقصد أو قسم أو مقطع يبدأ تفسيره بتفسير الآيات القرآنية تفسيراً لفظياً مختصراً في كثير من الأحيان، ويذكر بعده لطائف كما يسميها، وهذا كثير في تفسيره[1].

4. سمات تفسير طنطاوي جوهري:

1. ذكر محمد حسين الذهبي أن طنطاوي جوهري سرعان ما يخلص من الخطوات التي سبق ذكرها، ويدخل في أبحاث علمية مستفيضة يسميها "لطائف" أو"جواهر" عبارة عن مجموعة كبيرة من أفكار علماء الشرق والغرب في العصر الحديث، أتى بها المؤلف، ليبين للمسلمين ولغير المسلمين أن القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث ونبَّه على تلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء بقرون متطاولة".
2. أودع طنطاوي تفسيره كثيراً من صور النباتات، والحيوانات، ومناظر الطبيعة، وتجارب العلوم، بقصد أن يوضح للقارئ ما يقول توضيحاً يجعل الحقيقة أمامه كالأمر المشاهَد المحسوس.
3. يستشهد طنطاوي في تفسيره أحياناً على ما يقول بما جاء في الإنجيل، واعتماده فيما ينقل على إنجيل "برنابا" لأنه – كما يرى – أصح الأناجيل، بل هو الإنجيل الوحيد الذي لم تصل إليه يد التحريف والتبديل كما قيل.
4. كثيراً ما يشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون في جمهوريته، أو بما جاء عن إخوان الصفا في رسائلهم، وهو حين ينقلها يُبدى لنا رضاه عنها، وتصديقه بها، مع أنها تخالف الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
5. يستخرج كثيراً من علوم القرآن بواسطة حساب الجُمَّل الذي لا نُصدَّق أنه يوصل إلى حقيقة ثابتة، وإنما هي عدوى تسربت من اليهود إلى المسلمين، فتسلَّطت على عقول الكثير منهم.
6. يُفسِّر المؤلف آيات القرآن تفسيراً علمياً يقوم على نظريات حديثة، وعلوم جديدة،لم يكن للعرب عهد بها من قبل، ولست أرى هذا المسلك في التفسير إلا ضرباً من التكلف، إن لم يذهب بغرض القرآن، فلا أقل من أن يُذهب بجلاله وجماله[2].
7. وسعة إطلاع طنطاوي وتنوع ثقافته، جعلت أسلوبه يتنوع، فتجده يضرب المثل، ويقرب المعنى بالقصة، وبالمحاورة، بل ويستعمل الخيال ومشاهد الجمال الكوني[3].

---

(5) ينظر: المفسرون مدارسهم ومناهجهم، أ د فضل حسن عباس، (ص308 – 310).

(1) ينظر: المرجع نفسه، (ص311 – 312).

(2) التفسير والمفسرون، بتصرف (373/2).

8. إن مما يميّز تفسيره أيضا بروز حسرته على واقع أمته المستعبدة من الغرب بمخترعاته العلمية، فتراه يعالج واقع أمته الأليم كلما مر بآية تسعفه في ذلك، مثاله، عند قوله تعالى: [نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم](يوسف:76)، يقول: "اعلم أن هذه الآية نزلت لتخرج المسلمين من جهالتهم العمياء، إذ هم اليوم أقل الأمم علما، وهذه السورة فيها سرّ العلوم، وهذه الآية تطلب من أمة الإسلام رقيا في العلوم بلا نهاية"[1].

9. إيمان طنطاوي جوهري بالأرواح جعل الحديث عن الأرواح منتشرا في ربوع الكتاب، لا يكاد يخلو منه تفسير سورة من سور القرآن الكريم، فمثلا نجده عند قوله تعالى: [ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى](الأنعام:111)، يقول: "نسمع أن العلماء في أمريكا وأوربا يكلمون الموتى، ومع ذلك ترى بعض المتعلمين في بلادنا الشرقية، يكفرون بالله واليوم الآخر، ولا يقلدون في الإيمان ساداتهم من الفرنجة... فالله تعالى أذن للناس أن يكلموا الموتى في عصرنا الحاضر كما في الآية"[2].

10. كما أن من سمات تفسيره أيضا إخضاع الآيات القرآنية إلى الاكتشافات والنظريات الحديثة، وكمثال عملي على ذلك، في تفسير قوله تعالى: [لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى] (طه:06)، ذكر أن قوله تعالى: [وَمَا تَحْتَ الثَّرَى] تحريض للمسلمين على دراسة علوم المصريين التي تظهر الآن تحت الثرى، وأنّ الأمم الأوربية اليوم تقرأ علمًا يسمى "علم الآثار المصرية".

وقوله: [وَمَا بَيْنَهُمَا] دخل في ذلك عوالم السحاب والكهرباء وجميع العلم المسمى "الآثار العلوية"، وهو من علوم الطبيعة قديمًا وحديثًا.

وقوله: [وَمَا تَحْتَ الثَّرَى] يشير لعلمين لم يعرفا إلا في زماننا، وهما علم طبقات الأرض المتقدم مرارًا في هذا التفسير، وعلم الآثار المتقدم بعضه في سورة يونس، والآتي بعضه في سورة سبأ...

فالله هنا يقول: [وَمَا تَحْتَ الثَّرَى] ليحرض المسلمين على دراسة علوم المصريين التي تظهر الآن تحت الثرى المذكورين في هذه السورة، وأن سحرتهم شهدوا بصدق النبوة الموسومة؛ لأنهم وجدوا علمًا فوق علمهم؛ وهو علم النبوة، فجدير بعلوم هؤلاء أن تدرس وتعلم؛ لهذا كله قال: [وَمَا تَحْتَ الثَّرَى].

---

(3) ينظر: تفصيل ذلك عند د فضل حسن عباس في كتابه المفسرون مدارسهم ومناهجهم، بتصرف (ص323) وما بعدها.

(1) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (33/7). وينظر أيضا 205/7، 240، 241، 243.

(2) نقلا عن فضل حسن عباس في كتابه المفسرون مدارسهم ومناهجهم (ص320).

واعلم أن الأمم الأوربية اليوم يقرءون علمًا يسمى "علم الآثار المصرية" فهو فن خاص، وقد انتشرت الآثار هناك في زماننا ويسمى بعلم الاجيتلوجي"[1].

5. موقف السيد محمد رشيد رضا من تفسير طنطاوي جوهري:

في سؤال طرحه محمد خوجه التونسي على السيد محمد رشيد رضا في تونس، قال فيه: حضرة صاحب الفضيلة، سيدي محمد رشيد رضا: طالعت بعض ما كتبه الشيخ سيدي طنطاوي جوهري المحترم على سورة البقرة ووسمه بالتفسير، وبما أن نفسي لم تطمئن لبعض ما قرأته فيه لتطبيقه الآيات على الاختراعات العصرية، والسنن الطبيعية...تقدمت لفضيلتكم مؤملاً أن تبينوا لنا ولجميع قراء المنار الأغر رأيكم وحكم الله في التفسير المذكور بيانًا شافيًا واضحًا...؟

فأجاب السيد محمد رشيد رضا بقوله: "إنني كنت رأيت الجزء الأول من هذا التفسير في دار صديق لي منذ بضع سنين، وقلبت بعض أوراقه في بضع دقائق فرأيته أحق بأن يوصف بما وصف به بعض الفضلاء تفسير الفخر الرازي بقوله: فيه كل شيء إلا التفسير، وقد ظُلم الرازي بهذا القول فإن في تفسيره خلاصة حسنة من أشهر التفاسير التي كانت منتشرة في عصره، مع بعض المباحث والآراء الخاصة به، كما أن فيه استطرادات طويلة من العلوم الطبيعية والعقلية والفلكية والجدليات الكلامية التي بها أعطي لقب (الإمام) لرواج سوقها في عصره. والأستاذ الشيخ طنطاوي مغرم بالعلوم والفنون التي هي قطب رحى الصناعات والثروة والسيادة في هذا العصر، ويعتقد بحق أن المسلمين ما ضعفوا وافتقروا واستعبدهم الأقوياء إلا بجهلها، وأنهم لن يقووا ويثروا ويستعيدوا استقلالهم المفقود إلا بتعلمها على الوجه العملي بحذقها مع محافظتهم على عقائد دينهم وآدابه وعباراته وتشريعه...فألَّف أولاً كتبًا صغيرة في الحث على هذه العلوم والفنون والتشويق إليها من طريق الدين وتقوية الإسلام بدلائل العلم، ثم توسع في ذلك بوضع هذا التفسير الذي يرجو أن يجذب طلاب فهم القرآن إلى العلم، ومحبي العلم إلى هدي القرآن في الجملة والإقناع بأنه يحث على العلم، لا كما يدعي الجامدون من تحريمه له أو صده عنه؛ ولكن الأمر الأول هو الأهم عنده، فهو لم يعن ببيان معاني الآيات كلها وما فيها من الهدى والأحكام والحِكَم بقدر ما عني به من سرد المسائل العلمية وأسرار الكون وعجائبه (ولهذا قلنا إنه أحق من تفسير الرازي بتلك الكلمة التي قيلت فيه) .

ولا يمكن أن يقال إن كل ما أورده فيه يصح أن يسمى تفسيرًا له، ولا أنه مراد الله تعالى من آياته، وما أظن أنه هو يعتقد هذا... ولا يمكن أن يقال إنه لا يمكن انتقاده، بل الانتقاد على ما فيه من

(1) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري، بتصرف، (66/9).

التفسير ومن مسائل العلوم ممكن، وقد قلنا إنه لم يعن بقسم التفسير منه كثيرًا ولا سيما التفسير المأثور، وأما هذه العلوم فالبشر يتوسعون فيها عامًا بعد عام، فينقضون اليوم بعض ما أبرموا بالأمس، فليس كل ما دوَّنه أهلها صحيحًا في نفسه، فضلاً عن كونه مرادًا لله من كتابه، وإنما أُنزل الكتاب هدى للناس لا لبيان ما يصلون إليه بكسبهم من العلوم والصناعات؛ ولكنه أرشد إلى النظر والتفكر فيها ليزداد الناظرون المتفكرون إيمانًا بخالقها، وعلمًا بصفاته وحكمه..." [1].

(1) مجلة المنار (511/30).

المبحث الرابع – الاتجاه العقدي والمذهبي

مفهوم الاتجاه العقدي والمذهبي:

نعني بالاتجاه العقدي والمذهبي في التفسير، تلك الأعمال التفسيرية، الجزئية منها والكلية، التي ينتمي مؤلفوها إلى إحدى الفرق المذهبية، وكان لأصول المذهب أثر واضح في التفسير، وسنتناول بإذن الله تعالى: الاتجاه السنيّ باختصار لأنه سبق أن تناوله الطلاب، ثم نتناول الاتجاه الشيعي، والاتجاه الزيدي، والاتجاه الإباضي.

أولا– اتجاه أهل السنّة في التفسير:

لقد كانت الصبغة العامة لأعمال أهل السنّة في التفسير تعكس أصول معتقدات أهل السنّة، كما أن الأصول العامة للتفسير لديهم مشتركة، والتي تقوم أساسا على ما يلي:

- تفسير القرآن بالقرآن.
- تفسير القرآن بالسنة.
- تفسير القرآن بأقوال الصحابة.
- إعمال أقوال التابعين في التفسير على اختلاف بينهم.
- تفسير القرآن الكريم بلغة العرب.
- العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.
- ترك الإطناب فيما أبهم من القرآن.
- التحذير من التوسع في استعمال الأخبار الإسرائيلية في التفسير.

هذه هي أبرز الأصول العامة للتفسير عند أهل السنة، على اختلاف بينهم في التطبيق العملي لهذه الأصول، فمنهم من ضيّق، ومنهم ومن توسع، وقد تم التفصيل فيها في السداسي الثالث.

ثانيا – الاتجاه الشيعي في التفسير:

وعرف هذه الطائفة ابن حزم بقوله قال: "ومن وافق الشيعة في أن عليا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي, وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون, فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا"[1].

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم، ج2 ص107.

وعرّفها شيخهم أبو عبد الله العكبري الملقب بالمفيد بقوله: "أتباع أمير المؤمنين علي, على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل، ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة وجعله في الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء"[1].

فرق الشيعة:

لم تتفق كلمة الشيعة على أصول واحدة، بل اختلفت وتشعبت حتى صارت فرقا وأحزابا، فمنهم "الغلاة الذين رفعوا علياً إلى مرتبة الألوهية فكفروا، والمعتدلون الذين يرون علياً أفضل من غيره من الصحابة، وأنه أحق بالولاية وأولى بها من غيره فحسب، ومنهم مَن يقف موقفاً وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء، فلا هو يؤلِّه علياً، ولا هو يرى أنه بشر يُخطئ ويُصيب، بل يرى أنه معصوم، وأنه الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير منازع ولا مدافع وإن غُلب على أمره واعتُصِبَت الولاية منه"[2]. وفي العصر الحديث لم يبق من هذه الفرق إلا "الإمامية الجعفرية الاثنا عشرية، والزيدية، والإسماعيلية، والنصيرية، والدرزية المتفرعة عن الإسماعيلية"[3].

أصول الاتجاه الشيعي في التفسير[4]:

1. ترى طوائف الشيعة إلا القليل منهم أن القرآن الذي جمعه على رضي الله عنه، وتوارثه أئمتهم من بعده، هو القرآن الصحيح الذي لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل، أما ما عداه فمحرَّف ومبدَّل، حُذِف منه كل ما ورد صريحاً في فضائل آل البيت، وكل ما ورد صريحاً في مثالب أعدائهم ومخالفيهم. وأخبار التحريف متواترة عند الشيعة، ولهم في ذلك روايات كثيرة يروونها عن آل البيت، وهم منها براء[5].
2. ترى هذه الطائفة أن الصحابة والتابعين كبقية المسلمين لا حجية في أقوالهم إلا ما ثبت أنه حديث نبوي[6].

---

(1) أوائل المقالات، ص39.

(2) التفسير والمفسرون (10/2 – 11).

(3) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، 187/1.نقلا عن الحركات الباطنية في الإسلام: مصطفي غالب، ص56.

(4) ينظر: التفسير والمفسرون (10/2 – 11). واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، 187/1.

(5) ينظر: التفسير والمفسرون (27/2).

(6) القرآن في الإسلام: محمد حسين الطباطبائي ص59 و60.

3. طريق التفسير عندهم بعد أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي أقوال أئمتهم, قالوا: "وقد ثبت بطرق متواترة في حديث الثقلين أن أقوال العترة الطاهرة من أهل بيته عليهم السلام هي تالية لأقوال الرسول, فهي حجة أيضا[1].
4. رفض روايات الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وردها إلا ما صح من طرق أهل البيت[2].

وللإمامية الإثنا عشرية كتب كثيرة معتمدة في الرواية، أهمها: كتاب "الكافي"، لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت329هـ). و"التهذيب" لمحمد بن الحسن الطوسي. و"مَن لا يحضره الفقيه"، لمحمد بن عليّ بن بابويه. وكتاب "الاستبصار فيما اختُلِفَ فيه من الأخبار"، لمحمد ابن الحسن الطوسي.

5. الإمامية لا تعمل بالقياس, وقد تواتر عن أئمتهم أن الشريعة إذا قيست محق الدين[3].
6. الإجماع ليس حجة بنفسه إلا إذا كان الإمام المعصوم من المجمعين، أو كان الإجماع يعتمد على دليل معتبر، أو كاشفا عن رأيه في المسألة[4].
7. دليل العقل لا يدخل فيه عندهم القياس ولا المصالح ولا الاستحسان[5].
8. قرر الإمامية أن كل آيات المدح والثناء وردت في الأئمة ومَن والاهم، وكل آيات الذم والتقريع وردت في مخالفيهم وأعدائهم، بل ويدَّعون أن جُلّ القرآن بل كُلّه، أُنزِل في الإرشاد إليهم، والأمر بموافقتهم، والنهى عن مخالفتهم[6].

نماذج من تفاسير الشّيعة الإمامية في العصر الحديث:

أولا – تفسير القرآن للسيد عبد الله العلوى[7]:

كتاب تفسير القرآن للسيد العلوي مطبوع في مجلد واحد، وصفه المؤلف، وبيَّن مسلكه فيه فقال في مقدمته: "هذه كلمات شريفة، وتحقيقات منيفة، وبيانات شافية، وإشارات وافية، تتعلق ببعض مشكلات الآيات القرآنية، وغرائب الفقرات الفرقانية. وتتحرى غالباً ما ورد عن خُزَّان أسرار الوحي

(1) المرجع نفسه، ص60.

(2) أصل الشيعة وأصولها: محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص79.

(3) المرجع نفسه ص79.

(4) التفسير والمفسرون" 2/ 26.

(5) المرجع نفسه 2/ 26.

(6) المرجع نفسه 2/ 26.

(7) هو السيد عبد الله بن محمد رضا، العلوى، الحسيني، الشهير بشبَّر، وُلِد بالنجف سنة 1188 هـ، ومات بالكاظمية سنة 1242 هـ. كان من أعيان الشيعة وفضلائهم، فقيهاً، محدِّثاً، مفسِّراً متبحراً، جامعاً لعلوم كثيرة. ينظر: التفسير والمفسرون (138/2)، نقلا عن روضات الجنات ص374.

والتنزيل، ومعادن جواهر العلم والتأويل، والذين نزل في بيوتهم جبرائيل، بأوجز إشارة، وألطف عبارة، وفيما يتعلق بالألفاظ والأغراض والنكات البيانية تفسير وجيز، فإنه ألطف التفاسير بياناً وأحسنها تبياناً مع وجازة اللَّفظ وكثرة المعنى"[1].

- وجرى العلوي في تفسيره على مذهب الإمامية الإثنا عشرية، من حمل ألفاظ القرآن الكريم على أصول المذهب وتعاليمه، كالطعن في الصحابة غير الموالين لعليّ وذُرِّيته، والقول بالإمامة والوصية لها، والرجعة، والتقية، والاعتقاد بتحريف القرآن، ونكاح المتعة، والغنائم، وغيرها من أصول وفروع مذهب الإمامية.
- والكتاب أشبه ما يكون بتفسير الجلالين من جهة الإيجاز في العبارة التي تحمل المعاني الكثيرة، والنكات الخفية الدقيقة، بعبارة سهلة موجزة[2].
- وحرص المؤلف فيه على أن يكون جُلّ اعتماده على ما ورد من التفسير عن أهل البيت، وإن كان لا يعزو كل قول إلى قائله في الغالب، كما حرص على أن ينصر مذهبه ويدافع عنه.
- ويشرح الآيات التي لها صلة بمسائل علم الكلام شرحاً يتفق أحياناً كثيرة مع مذهب المعتزلة.
- يشير إلى بعض مشكلات القرآن التي ترد على ظاهر النظم الكريم، ثم يجيب عنها.
- كما يكشف عن كثير من النكات اللَّفظية والبيانية والمعنوية، مع الخوض أحياناً في المعاني اللُّغوية والمسائل النحوية، كل هذا في أسلوب ممتع لا يمل قارئه من تعقيد ولا يسأم من طول[3].

اعتماده على أصول المعتزلة في تفسيره:

لم يتوقف العلوي على التعصب لمذهبه الإمامية الإثنا عشرية، بل ظهر تأثره أيضا بأصول المعتزلة، ومن مظاهر ذلك:

- حرية الإرادة وخلق الأفعال: مثال ذلك، عند تفسير قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ](الأنعام 112)، يتحاشى نسبة الجعل إلى الله تعالى، فيذهب إلى التأويل، فيقول: "أسند الجعل إليه تعالى لأنه بمعنى التخلية، أي لم يمنعهم العداوة"[4].
- عدم رؤية الله تعالى في الآخرة: مثال ذلك، عند تفسيره لقوله تعالى: [فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين] (الأعراف: 143)، قال:

(1) نقلا عن التفسير والمفسرون (139/2).

(2) الشيعة الإثنا عشرية ومنهجهم في التفسير، د محمد محمد إبراهيم عسال، (ص863).

(3) التفسير والمفسرون (139/2).

(4) نقلا عن المرجع نفسه (173/2).

"[لَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ] تنزيها لك عما لا يليق بك من الرؤية وغيرها، [تُبْتُ إِلَيْكَ] من طلب الرؤية، أو السؤال بلا إذن، [وَأَنَاْ أَوَّلُ المؤمنين] بأنك لا تُرى"[1].

- غفران الذنوب: ولما كان السيّد العلوي يخالف المعتزلة في بعض معتقداتهم، فإنَّه يُفسِّر الآيات التي يستندون إليها في بعض عقائدهم بخلاف تفسيرهم لها، فمثلاً يرى المؤلف أنه يجوز في حق الله تعالى أن يغفر الذنوب – إلا الشرك – بدون توبة من العبد تفضلاً منه ورحمة، وهذا ما لا يقول به المعتزلة، فلهذا نجده يجرى على هذه العقيدة في تفسيره لقوله تعالى في الآية [48] من سورة النساء: [إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ] فيقول: "أي الشرك بِهِ بدون توبة، للإجماع على غفرانها بها، [وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ] ما سواه من الذنوب بدون توبة، [لِمَن يَشَآءُ] تفضلا، ومقتضاه الوقوف بين الخوف والرجاء"[2].

ثانيا – كتاب "بيان السعادة في مقامات العبادة" لسلطان محمد الجنابذي الخراساني [3]:

نذكر المعالم العامة لطريقته في تفسيره في النقاط الآتية:

- لم يعتمد الجنابذي في تفسيره على قاعدة "علم القرآن كله عند الأئمة"، بل مزج بها التفسير الصوفي، إلى جانب كثير من البحوث الفلسفية الدقيقة.
- يدافع الجنابذي في تفسيره عن أُصول مذهبه ويطيل في دفاعه، مع تعصب كبير، وتطرف بالغ.
- يمر على فروع المذهب ومسائله الاجتهادية الفقهية مرورا سريعاً دون تفصيل للأدلة وبيان لوجهة النظر.
- كما أنه لا يقتصر على النقل من تفاسير الشيعة، بل ينقل من تفاسيرها أهل السُّنَّة أيضاً كالبيضاوى وغيره.
- كتاب الجنابذي يكاد في جملته أن يكون تفسيراً جارياً على النمط الذي يجرى عليه الصوفية في تفاسيرهم، فلو جعلناه ضمن تفسير الصوفية لما كنا بعيدين عن وجهة الحق والصواب[4].
- يقرر المؤلف أن القصص القرآني ليس المقصود منه ظاهره الذي يتبادر إلى الذهن، بل هي مَن قبيل المرموز الذي رمزوا به لأشياء يعلمونها ويريدونها، كما يقرر أن من يريد حملها على الظاهر، فلا بد وأن يتحَّير فيها، ولا يمكن له أن يصل إلى حقيقتها[5].

---

(1) نقلا عن المرجع نفسه (173/2).

(2) نقلا عن المرجع نفسه (174/2).

(3) هو السيد عبد الله بن محمد رضا، العلوى، الحسينى، الشهير بشبَّر، وُلِد بالنجف سنة 1188 هـ، ومات بالكاظمية سنة 1242 هـ. كان من أعيان الشيعة وفضلائهم، فقيهاً، محدِّثاً، مفسِّراً متبحراً، جامعاً لعلوم كثيرة. ينظر: التفسير والمفسرون (138/2)، نقلا عن روضات الجنات ص374.

(4) ينظر: التفسير والمفسرون (164/2 – 165).

(5) ينظر: المرجع نفسه (190/2).

أهم آراءه في تفسيره:

يعد الجنابذي متعصبا لمذهبه، وتجد هذا عمليا في تطبيقاته في تفسيره، فهو يعتقد بما يلي:

- الإمامية الإثنا عشرية، وأن هؤلاء الأئمة شفعاؤه يوم القيامة.
- يؤمن بعقيدة الرّجعة.
- القرآن دليل العترة، والعترة هم المبيّنون للقرآن، وعليا أول العترة، ووارث علم محمد صلى الله عليه وسلم.
- وعلم القرآن جميعه عند محمد والأوصياء، أما ما عداهم فعلمهم بالقرآن قاصر.
- تحريف القرآن الكريم وتبديله.
- أن القرآن نزل في الأئمة، وفي أعدائهم.
- أن النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته كانوا معروفين لدى الأمم السابقة، وكان لهم أتباع يوالونهم.
- لم يصرح بتكفير الصحابة، وإنما يحاول سلب الفضل المذكور بشأنهم، وربما ينسبهم أحيانا إلى الفسق.
- ينكر رؤية الله تعالى يوم القيامة.
- هو مثل غيره من أصحاب مذهبه يقر نكاح المتعة، وأن الأنبياء يورثون كغيرهم من الناس[1].

نموذج يبيّن النزعة الصوفية للمؤلف:

يقول الجنابذي في تفسير قوله تعالى:[الذين يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هذه القرية الظالم أَهْلُهَا واجعل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً واجعل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيراً] (النساء75): "إن كان النزول في ضعفاء قِلَّة فلا اختصاص لها بهم كما في الخبر. فالقرية مكة وكل قرية لا يجد الشيعة فيها ولياً من الإمام ومشايخهم، وكل قرية وقع بها الأئمة بين منافقي الأُمة، وقرية النفس الحيوانية التي لا يجد الجنود الإنسانية فيها ولياً ويطلبون الخروج منها إلى قرية الصدر ومدينة القلب. ويسألون الحضور عند إمامهم أو مشايخهم في بيت القلب خالياً عن مزاحمة الأغيار بقولهم: [واجعل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً واجعل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيراً] .. تكرار "جعل"، لأن مقام التضرع والابتهال يناسبه التطويل والإلحاح في السؤال، ولأن المسئول ليس شخصاً واحداً، ولو كان واحداً، لم يكن مسئولا من جهة واحدة، بل المسئول محمد صلى الله عليه وسلم وعلي، أو المسئول محمد من جهة هدايته ومن جهة نُصْرته، وعلي كذلك" [2].

ثالثا – الاتجاه الأباضي في التفسير:

---

(1) ينظر: المرجع نفسه (2/177- 203).

(2) نقلا عن التفسير والمفسرون (2/181).

تعريف الأباضية:

ينتسب الإباضيون إلى عبد الله بن أباض بن تيم[1]، وكان منطلق المذهب الأباضي بالبصرة، حيث تعتبر المرجع لجميع الإباضية, ومنها انتشر المذهب في عدد من الأماكن، وقامت له دولة في عمان، وكذا بالمغرب، وامتد المذهب إلى اليمن وإلى مصر و الجزيرة العربية، وغيرها[2].

أصول المذهب الإباضي:

1. معرفة الله: قالوا: "إن معرفة الله تبارك وتعالى واجبة بالعقل قبل ورود الشرع, فلما ورد الشرع زادها إيضاحا وأعلن إيجابها".
2. إنكار الرؤية: مذهبهم في الرؤية الإنكار بشدة وذكروا أن القول بالرؤية يهدم التوحيد من أساسه، ويقضي عليه من أصله فإن الرؤية توجب الحلول والله منزه عنه"[3].
3. القول بخلق القرآن الكريم: ترى الأباضية أن القرآن مخلوق، ويقولون: إن الله خالق كل شيء، والقرآن شيء من الأشياء, ويستشهدون بقوله تعالى: [وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا](الفرقان:02)، والقرآن عندهم شيء من الأشياء[4].
4. مسألة الخلود: يعتقد الأباضية أن "داخل النار من عصاة الموحدين مخلد فيها لا يخرج منها أبدا, فهو في الخلود مثل داخل الجنة, إلا أن الموحد أخف عذابا من غيره[5].
5. مسألة الشفاعة: ويرون أن الشفاعة لا تنال أصحاب الكبائر من الأمة المحمدية[6].
6. ارتكاب الكبيرة: يطلق الأباضية على الموحد العاصي كلمة كافر, ويعنون بها كافر النعمة، ويجرون عليه أحكام الموحدين. فالكفر عندهم كفر نعمة ونفاق, وكفر شرك وجحود وهو الذي يخرج الإنسان من الملة الإسلامية[7]. والخلاصة: أن الدرجات عندهم إيمان, وكفر نعمة، وكفر شرك[8].

---

(1) هو عبد الله بن إباض التميمي الإباضي، المقاعسي المري التميمي، رأس الإباضية، كان من أهل العراق، واضطرب المؤرخون في سيرته وتأريخ وفاته، وكان معاصرا لمعاوية، وعاش إلى أواخر أيام عبد الملك بن مروان, جاء إلى الإمام جابر بن زيد لأخذ العلم عنه وكان يناظره في أموره وفي مهماته الدينية, وكان هو فيما قيل رجع عن بدعته فتبرأ أصحابه منه واستمرت نسبتهم إليه. ينظر: لسان الميزان لابن حجر، (4/ 418). والأعلام للزركلي (61/4 – 62).

(2) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، (ص: 82)، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الإسفراييني، (ص: 58) الملل والنحل، الشهرستاني، (134/1).

(3) طلقات المعهد الرياضي: سالم بن حمود بن شامس العماني، ص107.

(4) الحقيقة والمجاز: سالم بن حمود بن شامس، ص27.

(5) مختصر تاريخ الأباضية: سليمان الباروني، ص65.

(6) المرجع نفسه، ص66.

(7) المرجع نفسه، ص66.

7. الميزان والصراط: يرى جمهور الأباضية أن الميزان ليس بحسي والله غني عن الافتقار إليه, وإنما هو تمييز معنوي للأعمال، والصراط أيضا ليس بحسي، ومنهم من يجيز أن يكون كلاهما حسي[1].
8. الولاية والبراءة: تعتقد الأباضية أن كلا من الولاية والبراءة تنقسم إلى قسمين: ولاية أشخاص وولاية جملة, وكذا البراءة براءة الأشخاص وبراءة الجملة. قالوا: "ولا يخفي أن الولاية والبراءة تجبان للأفراد كما تجبان للجماعة, ومن خصهما بالجماعة دون الأفراد وقع في قصور وتقصير"[2].
9. موقفهم من الصحابة، رضوان الله عليهم: إن الأباضية يوالون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أما عثمان رضي الله عنه فليس له عندهم مثل منزلة صاحبيه، أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهم يعتقدون أنه إمام بالإجماع، أما بعد قبوله التحكيم فقد خلع نفسه عن الإمامة وولاها الحكمين[3].
10. مصادر التشريع عند الأباضية هي مصادره عند أهل السنة, أعني: الكتاب والسنة والإجماع والقياس, لا ينكرون شيئا منها ولا يجحدونه كما وصفهم بعض من كتب عنهم[4].

جهود الأباضية في التفسير:

عرف الأباضية بقلة الإنتاج في تفسير القرآن الكريم، إذ لا تكاد تذكر لهم سوى ثلاثة تفاسير قديمة, وثلاثة في العصر الحديث:

1- تفسير عبد الرحمن بن رستم الفارسي، من أهل القرن الثالث الهجري وهو مفقود.
2- تفسير هود بن محكم الهواري، من أهل القرن الثالث الهجري، وهو متداول اليوم.
3- تفسير أبي يعقوب، يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، من أهل القرن السادس الهجري وهو مفقود.
4- داعي العمل ليوم الأمل، للشيخ محمد بن يوسف إطفيش، من المعاصرين، ولم يتمه مؤلفه.
5- هميان الزاد إلى دار المعاد، للشيخ محمد بن يوسف إطفيش، وهو متداول اليوم.
6- تيسير التفسير، للشيخ محمد بن يوسف إطفيش، وهو متداول اليوم[5].

---

(8) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، 187/1.

(1) مختصر تاريخ الأباضية، سليمان الباروني، ص66 - 67.

(2) طلقات المعهد الرياضي: سالم بن حمود بن شامس العماني، ص117.

(3) الحقيقة والمجاز: سالم بن حمود بن شامس ص21 - 22.

(4) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، 198/1.

(5) ينظر: التفسير والمفسرون (233/2 - 234).

دراسة تطبيقية على كتاب "همیان الزاد إلى دار المعاد" لمحمد بن يوسف إطفيش (1332 هـ – 1914م)[1]: يعدّ تفسير "همیان الزاد" مرجعا أساسيا في التفسير عند الإباضية، غير أنه لا يعكس حالة التفسير عندهم في عصورهم الأولى، وذلك لتأخر مؤلفه عن زمن كثير من أهل التفسير الذين وافقوه على مذهبه.

وأبان في مقدمة تفسيره عن المعالم العامة لمنهجه، فذكر أنه:

- أنه يستعين بالله تعالى، ثم على ما يظهر لفكره بعد إفراغ وسعه.
- ولا يقلد فيه أحدا إلا إذا حكى قولا أو قراءة أو حديثا أو قصة أو أثرا لسلف.
- كما ذكر أنه كان ينظر بفكره في الآية أولا، ثم تارة يوافق نظر جار الله والقاضي البيضاوي، وتارة يخالفهما.
- ذكر أن في تفسيره الكفاية, في الرد على المخالفين فيما زاغوا فيه، وإيضاح مذهب الإباضية واعتقادهم, وذلك بحجج عقلية ونقلية[2].

وأضاف على المعالم السابقة بعض الأساتذة الباحثين معالم منهجية أخرى، منها:

- أن تفسيره يمثل التفسير المذهبي للإباضية في أواخر عصورهم فقط، وبعد أن خرجوا من عزلتهم التي مكثوا فيها مدة طويلة من الزمن.
- ثم يذكر فضائل السورة، مستشهداً لذلك في الغالب بالأحاديث الموضوعة في فضائل السور.
- ثم يذكر فوائد السورة بما يشبه كلام المشعوذين الدجَّالين.
- ثم يشرح الآيات شرحاً وافياً، فيُسهب في المسائل النحوية، واللُّغوية، والبلاغية.، والأصولية، والقراءات.
- ويفيض في مسائل الفقه، والخلاف بين الفقهاء.
- كما يتعرض لمسائل علم الكلام ويفيض فيها، مع تأثر كبير بمذهب المعتزلة.
- وهو مكثر إلى حد كبير من ذكر الإسرائيليات التي لا يؤيدها الشرع، ولا يصدقها العقل.
- كما يطيل في ذكر تفاصيل الغزوات التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(1) هو محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش الحفصي العدوي الجزائري: علامة بالتفسير والفقه والأدب، إباضي المذهب، مجتهد، كان مولده بوادي ميزاب في الجزائر ولد سنة (1236 – 1332 هـ) وتوفي بها سنة (1820 – 1914 م). له مؤلفات كثيرة، منها (تيسير التفسير)، و(همیان الزاد إلى دار المعاد)، و(شامل الأصل والفرع) في علوم الشريعة، وغيرها. ينظر: الأعلام للزركلي (7/ 156 – 157).

(2) همیان الزاد إلى دار المعاد، بتصرف، 1 /5.

- لا يكاد يمر بآية يمكن أن يجعلها إلى جانب مذهبه إلا وجعلها دليلاً عليه، ولا بآية تصارحه بالمخالفة إلا تلَّمس لها كل ما في طاقته من تأويل، ليتخلص من معارضتها.. حتى وإن كان تأويلاً متكلفاً، وفاسداً.
- يدفع الإنسان إلى أن ينسى عقله، ويطرح تفكيره الصائب، ليمشى مع الهوى بعقل فارغ وتفكير خاطئ[1].

الأسس التي يقوم تفسيره:

1. **الإطناب**: الإطناب سمة بارزة في تفسير "هيمان الزاد"، مما كان له آثار سلبية على تفسيره, نذكر منها:

أولها: عدم الاكتفاء بالتفسير الصحيح الثابت, فيضيف إليه أقوالا لا تصح أو على الأقل لا يصح ذكرها بجانب التفسير القرآني.

ثانيها: إيراد الكثير مما ليس مجاله التفسير، بل هو إلى شعوذة الدجالين أقرب.

ثالثها: الإطناب فيما أبهم في القرآن الكريم كالحروف المقطعة في أوائل السور, فإنه يورد في تفسير ذلك أقوالا عديدة استغرقتها صفحات، دون فائدة.

2. **تفسير القرآن بالقرآن**: المؤلف كثيرا ما يذكر تفسير القرآن بالقرآن أو ما يكون شاهدا للآية المفسرة.
3. **تفسير القرآن بالسنة**: المؤلف يأخذ بهذا النوع من التفسير, يورد منه ما هو تفسير للآية وما هو شاهد, أو له وجه علاقة بها، وهو هنا وهناك لا يلتزم الأخذ بالصحيح فيورد فيه الصحيح والضعيف، بل الموضوع وكل منها كثير في تفسيره.
4. **الأخذ بالإسرائيليات**: المؤلف أكثر من الأخذ بالإسرائيليات، وأورد منها في القصص والأخبار ما يصرف القارئ عن تدبر الآيات ومعانيها, واستطرد فيها استطرادا يجعل القارئ ينسى لطول الحديث الآيات المتناولة بالتفسير.
5. **اهتمامه بالمسائل النحوية واللغوية والبلاغية**: من السمات البارزة أيضا في هذا التفسير إسهاب صاحبه في المسائل النحوية واللغوية والبلاغية، ويوليها اهتماما بالغا وبيانا واضحا، ويناقش أحيانا المفسرين في إعراب الآيات وما يراه فيها, كما يلاحظ بروز شخصيته بعدم التسليم دائما بما يقوله علماء

(1) هذه المعالم المنهجية مأخوذة من التفسير والمفسرون، بتصرف (2/279 - 280).

اللغة، بل يناقشهم ويرد عليهم، وهو في كل ذلك لا يتعصب لرأيه في اللغة فيستدل للرأي الآخر كما يستدل لرأيه، وقارئ هذا التفسير يعجب لسعة معارف المؤلف اللغوية.

6. **اهتمامه بالقراءات وتوجيه بعضها:**

كما كانت عنايته بالقراءات فائقة، إلى حدّ تخصيص فصولا استطرادية خاصة بالقراءات أحيانا, منها: الفصول التي عقدها في أحكام الياء عند القراء، فصل كل ياء بعدها همزة مفتوحة، فصل كل ياء بعدها همزة مكسورة، فصل كل ياء بعدها همزة مضمومة، فصل كل ياء بعدها ألف ولام، فصل كل ياء بعدها ألف مفردة، فصل أحكام الياء عند باقي حروف المعجم.كما كان يقوم ببيان أوجه القراءات, ويوجه ويستدل لها، ويبين معنى الآية على تلك الأوجه[1].

7. **نصرة الأصول الاعتقادية لمذهبه:** حيث سعى المؤلف بكل جهده لحشد الأدلة لنصرة أصول مذهبه، والدفاع عنها في تفسيره، والإشادة بها[2].

رابعا – الاتجاه الزيدي في التفسير:

الزيدية هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي خرج بالإمامة إماما واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن، أو الحسين رضي الله عنهما[3].

أصولهم الاعتقادية:

1. اجتمع قول الزيدية على إمامة زيد بن على بن الْحُسَيْن بن على بن أبي طَالب فِي أيام خُرُوجه، وَكَانَ ذَلِك فِي زمَان هِشَام بن عبد الْملك[4].
2. ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم.
3. جوز الزيدية إمامة المفضول مع وجود الأفضل[5].
4. وبنوا على هذا صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعدم تكفير الصحابة ببيعتهما.
5. أجمعت الزيدية أن أصحاب الكبائر كلهم معذبون في النار خالدون فيها مخلدون أبدا لا يخرجون منها ولا يغيبون عنها.

---

(1) ينظر في هذه الأسس وتفصيلها:اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، 308/1 - 326.

(2) ينظر التفسير والمفسرون، 336/2 - 348.

(3) ينظر:اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، 501/1 - 505.

(4) ينظر: الفرق بين الفرق (ص: 16)

(5) الملل والنحل، الشهرستاني، (154/1- 155). وينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (77/4).

6. أجمعوا أيضا على تصويب علي بن أبي طالب في حربه وعلى تخطئة من خالفه[1].

وافترقت الزيدية إلى عدة فرق، منهم من يجعلها ثلاث فرق، ومنهم من يذكر أكثر من ذلك، إلا أن المشهورة منها ثلاث، هي: الجارودية، والسليمانية وَقد يُقَال لهل الحريرية أيضا، والبترية[2]، وكل منها معتقداتها الخاصة، قد توافق أو تخالف غيرها.

جهود الزيدية في التفسير:

قام الدكتور محمد حسن الغماري في رسالته "الإمام الشّوكاني مفسّرا" باستقراء وتتبع تراث الزّيدية في التفسير، فاستنتج أن الزّيدية عنوا مبكرا بتفسير القرآن الكريم، فمنهم من فسر القرآن الكريم كله، ومنهم من فسّر بعضه، واقتصر في ذكر مصنفاتهم في التفسير على 30 مؤلفا[3]، ونحن نورد بعضها فيما يلي:

1. مقاتل بن سليمان (ت150هـ): له كتاب التفسير الكبير، وكتاب نوادر التفسير.
2. أبو جعفر محمد بن منصور المرادي الزيدي (ت290 هـ): له كتابان في التفسير: كتاب التفسير الكبير، وكتاب التفسير الصغير.
3. تفسير القاسم بن إبراهيم الرسي الحسني (ت246هـ).
4. تفسير محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي الحسني (ت287هـ).
5. يحيى بن الحسين القاسم الرسي الحسني (ت298هـ)، حفيد القاسم، له تفسيران: أحدهما للقرآن الكريم كله، والثاني خاص بغريب القرآن فقط.
6. تفسير الإمام المرتضى لدين الله، أبو القاسم محمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ت310هـ).
7. تفسير الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ت325هـ).
8. قام باختصار هذه التفاسير الخمسة السابقة أبو العباس منصور بن موسى الخطاب.
9. تفسير الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني (ت393هـ).

---

(1) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، (ص: 74).

(2) الجارودية: نسبة إلى أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي. والسليمانية نسبة إلى سليمان بن جرير الزيدي. والبترية: أَتبَاع الْحسن بن صَالح بن حَيّ. ينظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (ص:16)، والملل والنحل، الشهرشتاني، (162/1).

(3) ينظر: الإمام الشوكاني مفسرا، محمد حسن بن أحمد الغماري (ص103 –110). وقد استفاد أكثر هذه المصنفات من البدر الطالع للشوكاني، وشرح العيون للحاكم الجشي.

10. تفسير الإمام الناصر أبو الفتح الديلمي (ت447هـ)، وعنوانه: "المصابيح الساطعة الأنوار من تفسير أهل البيت الأطهار".
11. تفسير الإمام عبد الله بن حمزة الحسني (ت613هـ).
12. السَّيِّد مُحَمَّد بن إدريس بن النَّاصِر علي بن عبد الله بن الْحسن بن حَمْزَة بن سُلَيْمَان، له مصنفات في التفسير: أَحدهَا: التَّيْسِير"، وَالْآخر "الإكسير الإبريز فِي تَفْسِير الْقُرْآن الْعَزِيز"، و"الحسام المرهف تَفْسِير غَرِيب الْمُصحف"، و"الدرة المضيئة فِي الْآيَات المنسوخة الفقهية"، و"النهج القويم فِي تَفْسِير الْقُرْآن الْكَرِيم".
13. تفسير الحسن بن محمد بن الحسن المعروف بالنحوي (ت791هـ).
14. يوسف بن أحمد عثمان اليماني (ت832هـ). وعنوان تفسيره "الثمرات اليانعة في آيات الأحكام الفقهية".
15. علي بن محمد بن أبي القاسم الحسني (ت837هـ). له تفسير كبير، وتجريد الكشاف.
16. محمد بن إبراهيم الوزير، له التفسير النبوي(ت840هـ).
17. عبد الله بن محمد النجري(ت877هـ)، له "تفسير آيات الأحكام".
18. تفسير محمد بن يحيى بهران (ت957هـ)، جمع فيه بين تفسير الزمخشري وابن كثير"، وله "حاشية على الكشاف".

دراسة تطبيقية على كتاب "فتح القدير" لمحمد بن علي الشوكاني (1173هـ - 1250هـ)[1]:

استهل الإمام الشوكاني تفسيره بمقدمة شرح فيها طريقة تفسيره للقرآن الكريم، نحاول تلخيص ما ورد فيها في النقاط الآتية:

1. جمع الشوكاني في تفسيره بين طريقتي الرواية والدراية، فقال في مقدمة تفسيره: "إن غالب المفسرين تفرّقوا فريقين، وسلكوا طريقين: الفريق الأول اقتصروا في تفاسيرهم على مجرّد الرواية، وقنعوا برفع هذه الراية. والفريق الآخر جرّدوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية، وما تفيده العلوم الآلية، ولم يرفعوا إلى الرواية رأسا... وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب...". وبعد

(1) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ولد سنة اثنتين وسبعين بعد مائة وألف. أحرز جميع المعارف، وصار مشارا إليه في علوم الاجتهاد بالبنان. له المؤلفات في أغلب العلوم، ومنها: (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار)، و(فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير)، و(الدرر البهية، في المسائل الفقهية)، و (در السحابة، في مناقب القرابة والصحابة)، و(الفوائد المجموعة، في الأحاديث الموضوعة)،و(إرشاد الفحول، إلى تحقيق الحق من علم الأصول) وغيرها. وقد توفي الشوكاني رحمه الله سنة 1250هـ. تنظر ترجمته في: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، 478/1.

أن ذكر نصوصا تتعلق بالفريقين قال: "وبهذا تعرف أنه لا بد من الجمع بين الأمرين، وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين، وهذا هو المقصد الذي وطنت نفسي عليه، والمسلك الذي عزمت على سلوكه إن شاء الله"[1].

2. أكد الشوكاني المصير إلى ما ثبت من التَّفْسِيرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقديمه على غيره[2].
3. ولذلك حرص على إيراد ما ثبت من التَّفْسِيرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الصحابة أو التابعين أو تابعيهم.

وذكر أنه يورد ما في إسناده ضعف، إما لكونه في المقام ما يقوّيه، أو لموافقته للمعنى العربي.

وقد يذكر الحديث معزوّا إلى راويه من غير بيان حال الإسناد، بسبب أنه وجده في الأصول التي نقل عنها كذلك، كما يقع في تفسير ابن جرير والقرطبي وابن كثير والسيوطي وغيرهم[3].

4. أما ما كان منها ثابتا عن الصحابة رضي الله عنهم، فإن كان من الألفاظ التي قد نقلها الشرع إلى معنى مغاير للمعنى اللغوي بوجه من الوجوه فهو مقدّم على غيره، وإن كان من الألفاظ التي لم ينقلها الشرع فهو كواحد من أهل اللغة الموثوق بعربيتهم. فإذا خالف المشهور المستفيض لم تقم الحجة علينا بتفسيره الذي قاله على مقتضى لغة العرب[4].
5. كما ذكر أنه لا اعتبار بما لم يصح كالتفسير بإسناد ضعيف، ولا بتفسير من ليس بثقة منهم وإن صحّ إسناده إليه[5].
6. تعرّضه للترجيح بين التفاسير المتعارضة إذا اتضح له وجهه[6].
7. أخذه من بيان المعنى العربي والإعرابي والبياني بأوفر نصيب.
8. اعتمد على تفسير السيوطي المسمى بـ "الدرّ المنثور"، وبين سبب ذلك في قوله: "قد اشتمل على غالب ما في تفاسير السلف من التفاسير المرفوعة إلى النبي صلّى الله عليه وسلم، وتفاسير الصحابة ومن بعدهم، وما فاته إلا القليل النادر. وقد اشتمل هذا التفسير على جميع ما تدعو

---

(1) فتح القدير للشوكاني، بتصرف (1/ 14).

(2) المصدر نفسه، بتصرف (1/ 14).

(3) المصدر نفسه، بتصرف (1/ 15).

(4) فتح القدير للشوكاني، بتصرف (15/1).

(5) المصدر نفسه، بتصرف (15/1).

(6) المصدر نفسه، بتصرف (15/1).

إليه الحاجة منه مما يتعلق بالتفسير، مع اختصار لما تكرّر لفظا واتحد معنى بقولي: ومثله أو نحوه، وضممت إلى ذلك فوائد لم يشتمل عليها وجدتها في غيره من تفاسير علماء الرواية، أو من الفوائد التي لاحت لي من تصحيح أو تحسين أو تضعيف، أو تعقب أو جمع أو ترجيح"[1].

9. يفيد كلام الشوكاني في مقدمة تفسيره أنّ مصادره في التفسير كثيرة، وفي مقدمتها، تفسير الإمام الطبري، والإمام ابن كثير، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، وأبي حيان الأندلسي، والسيوطي.

10. يبدأ غالبا بفضائل السورة، ثم القراءة، ثم اللغة، ثم الإعراب والشواهد، وأسباب النزول، والنسخ، والمعنى الإجمالي، ويرجح بعض الأقوال على بعض، والأحكام المستنبطة، ويتناول الأحاديث النبوية والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وكثيرا ما يقدم ملخصا للسورة قبل البداية في تفسيرها[2]. وقد يقدم ويؤخر في بعض العناصر السابقة.

11. اعتمد الشوكاني كثيرا على أئمة اللغة، مثل: مؤلفات أبي عبيدة معمر بن المثنى، والفراء، والزجاج، والنحاس أبو جعفر المصري، وأبو منصور الأزهري، وغيرهم. ولم يكن أبدا مسلما لهؤلاء في كل شيء بل كان ينقل وينقد.

بعض مواقف الإمام الشوكاني في تفسيره[3]:

1. موقفه من حياة الشهداء:

يقرر الشوكاني في تفسيره أن الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون، حياة حقيقية لا مجازية، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: [وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ] (آل عمران:169)، "وقد اختلف أهل العلم في الشهداء المذكورين في هذه الآية مَن هم؟. فقيل: شهداء أُحُد. وقيل: في شهداء بدر. وقيل: في شهداء بئر معونة ... ومعنى الآية عند الجمهور: أنهم أحياء حياة محققة... وذهب مَن عدا الجمهور إلى أنها حياة مجازية، والمعنى: أنهم في حكم الله مستحقون للنعم في الجنة، والصحيح الأول، ولا موجب للمصير إلى المجاز، وقد وردت السُّنَّة المطهَّرة بأن أرواحهم في أجواف طيور خضر، وأنهم في الجنة يُرزقون ويأكلون ويتمتعوْن"[4].

2. موقفه من التوسل بالأنبياء والأولياء:

---

(1) المصدر نفسه، بتصرف (15/1).

(2) ينظر: الإمام الشوكاني مفسرا، محمد حسن بن أحمد الغماري (ص165 –166).

(3) ذكر هذه المواقف ومثّل لها الشيخ محمد حسين الذهبي في التفسير والمفسرون (253/2 – 261).

(4) ينظر: التفسير والمفسرون (256/2).

يقف من مسألة التوسل بالأنبياء والأولياء موقف المعارضة، فعند تفسيره لقوله تعالى: [قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَآءَ الله] (يونس:49)، يقول: "وفي هذا أعظم واعظ، وأبلغ زاجر لمن صار دينه المناداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والاستغاثة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها إلا الله سبحانه، وكذلك مَن صار يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يقدر على تحصيله إلا الله سبحانه، فإن هذا مقام رب العالمين، الذي خلق الأنبياء والصالحين وجميع المخلوقين، ورزقهم وأحياهم ويميتهم، فكيف يُطلب من نبي من الأنبياء، أو مَلَك من الملائكة، أو صالح من الصالحين، ما هو عاجز عنه غير قادر عليه ويترك الطلب لرب الأرباب، القادر على كل شيء، الخالق الرازق، المعطى المانع..." [1].

3. موقفه من المتشابه:

مثاله عند تفسيره لقوله تعالى: [إِنَّ رَبَّكُمُ الله الذي خَلَقَ السماوات والأرض فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى عَلَى العرش] (الأعراف:54)، يقول: "قد اختلف العلماء في معنى هذا على أربعة عشر قولاً، وأحقها وأولاها بالصواب مذهب السَلَف الصالح: أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف، بل على الوجه الذى يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه"[2].

4. موقفه من آراء المعتزلة:

إن طريقة الشوكاني في تعامله مع مواقف المعتزلة، واضحة في تفسيره، فقد أعلن معارضتهم، والردّ عليهم في كل موقف مناسب، مثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: [وَإِذْ قُلْتُمْ يا موسى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حتى نَرَى الله جَهْرَةً] (البقرة:55)، يقول: "وإنما عوقبوا بأخذ الصاعقة لهم، لأنهم طلبوا ما لم يأذن الله به من رؤية الدنيا، وقد ذهبت المعتزلة ومَن تابعهم إلى إنكار الرؤية في الدنيا والآخرة. وذهب مَن عداهم إلى جوازها في الدنيا، ووقوعها في الآخرة. وقد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة، وهى قطعية الدلالة، لا ينبغى لمنصف أن يتمسك في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التى جاء بها قدماء المعتزلة، وزعموا أن العقل قد حكم بها، دعوى مبنية على شفا جرف هار، وقواعد لا يغتر بها إلا مَن لم يحظ من العلم بنصيب نافع"[3].

5. موقفه من مسألة خلق القرآن:

---

(1) ينظر: المرجع نفسه (2/253-257).

(2) ينظر: المرجع نفسه (2/257-258).

(3) ينظر: التفسير والمفسرون (2/258).

لم يرض الشوكاني موقف أهل السُّنَّة، ولا موقف المعتزلة من مسألة خلق القرآن، وإنما رضي أن يكون من العلماء الوقوف في هذه المسألة، فلم يجزم فيها برأي، وراح ينحى باللائمة على مَن يقطع بأن القرآن قديم أو مخلوق، فعندما تعرَّض لتفسير قوله تعالى: [مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ إِلاَّ استمعوه وَهُمْ يَلْعَبُونَ] (الأنبياء:02)، يقول: "... وهذه المسألة – أعني قدم القرآن وحدوثه – قد ابتلى بها كثير من أهل العلم ... ولقد أصاب أئمة السُّنَّة بامتناعهم من الإجابة إلى القول بخلق القرآن وحدوثه، وحفظ الله بهم أُمة نبيه عن الابتداع، ولكنهم – رحمهم الله – جاوزوا ذلك إلى القول بِقدَمه، ولم يقتصروا على ذلك حتى كفَّروا من قال بالحدوث...وليتهم لم يجاوزوا حد الوقف، وإرجاع العلم إلى علام الغيوب، فإنه لم يُسمع من السَلَف الصالح من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم إلى وقت قيام المحنة وظهور القول في هذه المسألة شيء من الكلام، ولا تُنقل عنهم كلمة في ذلك..."[1].

6. ذم التقليد والمقِّدين:

ومن النماذج الدالة على معاداته للتقليد والمقلدين، وذمهم في تفسيره، عند تفسيره لقوله تعالى: [وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا](النساء:140). قال: "وفي هذه الآية... دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية، كما يقع كثيرا من أسراء التقليد الذين استبدلوا آراء الرجال بالكتاب والسنة، ولم يبق في أيديهم سوى قال إمام مذهبنا كذا، وقال فلان من أتباعه بكذا. وإذا سمعوا من يستدل على تلك المسألة بآية قرآنية أو بحديث نبوي سخروا منه ولم يرفعوا إلى ما قاله رأسا، ولا بالوا به بالة، وظنوا أنه قد جاء بأمر فظيع، وخطب شنيع، وخالف مذهب إمامهم الذي نزلوه منزلة معلم الشرائع، بل بالغوا في ذلك حتى جعلوا رأيه الفائل واجتهاده الذي هو عن منهج الحق مائل، مقدما على الله وعلى كتابه وعلى رسوله. فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما صنعت هذه المذاهب بأهلها والأئمة الذين انتسب هؤلاء المقلدة إليهم برآء من فعلهم فإنهم قد صرحوا في مؤلفاتهم بالنهي عن تقليدهم كما أوضحنا ذلك في رسالتنا المسماة: [بالقول المفيد في حكم التقليد]، وفي مؤلفنا المسمى: [بأدب الطلب ومنتهى الأرب] اللهم انفعنا بما علمتنا واجعلنا من المقتدين بالكتاب والسنة، وباعد بيننا وبين آراء الرجال المبنية على شفا جرف هار يا مجيب السائلين"[2].

---

(1) ينظر: المرجع نفسه (2/260-261).

(2) فتح القدير للشوكاني، بتصرف (2/526- 527).

المبحث الخامس – الاتجاه الفقهي

لقد شملت الدراسات الحديثة آيات القرآن الكريم المتعلقة بالأحكام بالتفسير والبيان، وكان اهتمامهم في شكل دراسات لبعض الآيات المتعلقة بمسائل فقهية محددة، أو تخصيص آيات الأحكام بالتفسير في مصنف منفرد، أو تناول آيات الأحكام بالتفسير في إطار تفسير عموم القرآن الكريم.

أسس الاتجاه الفقهي:

تتمثل أسس الاتجاه الفقهي في التفسير في العصر الحديث، في الآتي:

1. أنّ أكثر المؤلفات الحديثة غير شاملة لآيات الأحكام كلها؛ بل تقتصر على بعض الآيات من بعض السور.
2. التفاسير في العصر الحديث لا تلتزم مذهبًا بعينه، فهي تفسر آيات القرآن الكريم حسب المتبادر منها من غير توجيه لها أو صرف إلى مذهب معين؛ ولهذا فلا تجد فيها التعصب المذهبي، بل تتجلى فيها حكمة التشريع.
3. التفاسير في العصر الحديث لا تستطرد في الحديث عن جزئيات الفروع؛ بل تكتفي ببيان مهمات الآيات المدروسة ودلالتها من غير توسع يحوِّل التفسير إلى كتاب فقهي موسَّع بكل أبعاده وجوانبه.
4. اختلاف الأسلوب بين العصرين؛ ذلكم أن المؤلِّفين في القديم يكتبون بأسلوب علمي مركز، تحتاج بعض العبارات فيه إلى شرح وبيان، خلاف الأسلوب الحديث الذي يكتب به المتأخرون؛ حيث يُوفِّي العبارة حقها؛ بل قد يزيد التوضيح إلى درجة الإطناب.
5. اعتنى بعض المؤلفين في العصر الحديث بالرد على ما يُثار حول بعض القضايا الفقهية من شبهات التي يثيرها خصوم الإسلام حول أحكامه وتشريعاته؛ كحد قطع يد السارق، ورجم الزاني، وتحريم الربا، وتعدد الزوجات، وغيرها [1].

مصنفات التفسير الفقهي في العصر الحديث:

الذي وقفت عليه من جهود المحدثين في تفسير آيات الأحكام، الآتي:

1- نيل المرام في تفسير آيات الأحكام، تأليف: السيد محمد صديق حسن،

---

(1) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، بتصرف، (2/418 – 419). والتفسير أساسياته واتجاهاته، فضل حسن عباس، ص606.

2- تفسير آيات الأحكام، أشرف على طَبْعِه وتنقيحه: محمد علي السايس.

3- آيات الأحكام الشّرعية للسيد محمد صديق حسن القِنَّوجي (المتوفى:1307هـ).

4- تفسير آيات الأحكام: المؤلف مجهول، صححه محمد علي السّايس (المتوفى:1396هـ).

5- الفتوحات الربانية في تفسير ما ورد في القرآن من الأوامر والنواهي الإلهية لمحمد عبد العزيز الحكيم (المتوفى:1350هـ).

6- أحكام القرآن الملقب دلائل القرآن على مسائل النعمان، لمحمد أشرف علي التهانوي (المتوفى:1344هـ):

7- الآيات المحكمات في التوحيد والعبادة والمعاملات، للشيخ محمد بن أحمد الملقب بـ"الداه الشنقيطي"، (المتوفى:1389هـ).

أولا – نيل المرام في تفسير آيات الأحكام للسيد محمد صديق حسن القِنَّوجي (المتوفى:1307هـ)[1]:

التعريف بتفسيره:

نشر الكتاب أولا سنة (1399هـ)[2]. ثم نشرته دار الكتب العلمية بتحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي سنة 2003م.

ذكر المؤلف محمد القنوجي في مقدمة كتابه الاختلاف في مقدار ما في القرآن الكريم من آيات الأحكام، والتي يُحتاج إلى معرفتها، فقال: "فهذه الآيات التي يحتاج إلى معرفتها الراغب في معرفة الأحكام الشرعية القرآنية، وقد قيل: إنها خمسمائة آية، وما صح ذلك، وإنما هي مائتا آية أو قريب من ذلك" [3].

---

(1) هو محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لُطْف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيّب: من رجال النهضة الإسلامية المجددين. ولد سنة (1248 - 1832م) في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي. وسافر إلى بهوپال طلبا للمعيشة، ففاز بثروة وافرة، قال في ترجمة نفسه: (ألقى عصا الترحال في محروسة بهوپال، فأقام بها وتوطن وتمول، واستوزر وناب، وألف وصنف) وتزوج بملكة بهويال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر. له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية والهندسية. منها بالعربية (حسن الأسوة في ما ثبت عن الله ورسوله في النسوة)، و(أبجد العلوم)، و(فتح البيان في مقاصد القرآن) عشرة أجزاء، و(حصول المأمول من علم الأصول)، و(عون الباري) في الحديث، و(نيل المرام من تفسير آيات الأحكام)، و(خلاصة الكشاف) في إعراب القرآن، وغيرها. وكانت وفاته ليلة 29 جمادى الثانية 1307هـ، توافق 20 فبراير 1890. الأعلام للزركلي (6/ 168). وأبجد العلوم (271/3- 280). ومعجم المؤلفين (358/3). حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار (ص: 739 781).

(2) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (436/3).

(3) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام (ص: 9).

وأجمل القول في غرضه من هذا المصنف، فقال: "وليس القصد إلا ذكر ما يدل على الأحكام دلالة واضحة، لتكون عناية طالب الأحكام به أكثر، وإلا فليس يحسن من طالب العلم أن يهمل النظر في جميع كتاب الله تعالى...وها أنا أفسر تلك الآيات المشار إليها بتفسير وجيز جامع، ولم أخذ فيها من الأقوال المختلفة إلا الأرجح، ومن الدلائل المتنوعة إلا الأصح الأصرح. ولعمري لا يوجد قط تفسير موجز بهذا النمط. وكانت بدايته في أول شهر صفر ونهايته فيه من حدود سنة سبع وثمانين ومائتين وألف الهجرية على صاحبها الصلاة والتحية. وسميته «نيل المرام من تفسير آيات الأحكام"[1].

طريقته في التفسير:

1- يفتتح السورة بذكر كونها مدنية أو مكية، وأحيانا يذكر شيئا من أسباب نزول السورة (كما ذكر ذلك في سورة البقرة)، وقد يتطرق إلى فضل بعض السور (كما صنع ذلك في البقرة وآل عمران).

2- لم يتناول في كتابه إلا السور التي تحتوي على الأحكام.

3- لا تشبه طريقته طريقة القدامى في تحليل الآيات ومناقشة آراء العلماء والاستدلال لها أو عليها، فالقنّوجي لا يلتزم منهجا موحدا في دراسة الآيات، واستخراج الأحكام منها.

4- يتميز صنيعه في التفسير بالاختصار الشديد إلا إذا اقتضت الضرورة التفصيل في بعض المواضع، وهذا يكون حسب موضوع الآيات، فمثلا تفسير قوله تعالى: [وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ] (البقرة:83)، وقوله تعالى: [شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] (البقرة185)، لا يتجاوز تفسيره لها صفحة واحدة[2].

---

(1) المصدر نفسه (ص: 10).

(2) ينظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام (ص: 12، 35).

وفسر قوله تعالى: [إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (البقرة:173)، في حوالي ثلاث صفحات[1]. وآية الوضوء (المائة:06) أكثر من سبع صفحات[2].

5- تنوعت مصادره التفسيرية لتشمل جميع الاتجاهات التفسيرية التي سبقته، فمن المؤلفين الذين نقل عنهم: ابن جرير الطبري[3]، الرازي، والزمخشري، والشوكاني[4]، ابن عطية، والثعلبي، وابن العربي[5]، وغيرهم.

6- يهتم المؤلف بعرض وجوه الاختلاف بين العلماء في فهم الآيات،

7- عنايته بمعالجة الواقع وإصلاحه: ويبرز هذا في المواضع التي لها صلة بالواقع الذي يعيشه: وفيما يلي نماذج لذلك:

- عند تفسيره لقوله تعالى: [إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (البقرة173).

ذكر ما يقدم إلى الأولياء من الذبائح يدخل في هذه الآية، فقال: "قال الشوكاني في «فتح القدير» : ومثله ما يقع من المعتقدين للأموات من الذبح على قبورهم فإنه مما أهل به لغير الله ولا فرق بينه وبين الذبح للوثن.انتهى.قلت: ومثله ما يقع من المعتقدين للأولياء من الذبح لهم فإنه مما أهلّ به لغير الله، وإن لم يذكروا اسمهم عليه عند الذبح، ولا فرق بينه وبين الذبح للطواغيت. وقد أكثر أهل العلم من الكلام في هذه المسألة في تواليف مفردة لا نشتغل بذكرها خشية الإطالة"[6].

- وعند تفسيره لقوله تعالى: [فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ وَإِنْ تُبْتُمْ أي من الربا فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ تأخذونها لا تَظْلِمُونَ غرماءكم بأخذ الزيادة وَلا تُظْلَمُونَ] (البقرة279). قال: "وفي هذا دليل على أن أموالهم- مع عدم

(1) ينظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام (ص: 26).

(2) ينظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام (ص: 249-257).

(3) المصدر نفسه (ص: 13).

(4) المصدر نفسه (ص: 12).

(5) المصدر نفسه (ص: 126).

(6) المصدر نفسه (ص: 26-27).

التوبة- حلال لمن أخذها من الأئمة ونحوهم، وقد دلت الآية التي قبلها أعني قوله: [فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ]، على أن أكل الربا والعمل به من الكبائر. ولا خلاف في ذلك"[1].

- وعند تفسيره لقوله تعالى: [وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] (الأنعام: 108) ، قال القنوجي: "والمعنى: لا تسب يا محمد آلهة هؤلاء الكفار التي يدعونها من دون الله فيتسبب عن ذلك سبهم الله، عدوانا وتجاوزا عن الحق، وجهلا منهم. وفي هذه الآية دليل على أن الدّاعي إلى الحقّ، والنّاهي عن الباطل، إذا خشي أن يتسبب عن ذلك، ما هو أشدّ منه من انتهاك حرام، ومخالفة حق، ووقوع في باطل أشد، كان الترك أولى به، بل كان واجبا عليه"[2].

ثانيا – تفسير آيات الأحكام: المؤلف مجهول، صححه محمد علي السّايس (المتوفى:1396هـ)[3]:

التعريف تفسير آيات الأحكام:

تعجب الدكتور فهد الرومي أن هذا الكتاب القيّم لا يُعرف له مؤلف، وكثير من طلبة العلم ينسبه للشيخ محمد علي السّايس، وذكر أنه وقف على طبعة له صدرت سنة (1356هـ - 1937م)، خالية من اسم مؤلفها، وطبعة أخرى صدرت سنة (1373 هـ) بمطبعة محمد علي صبيح بمصر كتب على غلافها: أشرف على تنقيحها وتصحيحها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد على السّايس، ولعل هذا

---

(1) المصدر نفسه (ص: 112).

(2) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام (ص: 290).

(3)ولد محمد علي السايس في مدينة بمحافظة كفر الشيخ بمصر في يوم 16 أغسطس 1899م "1319 هـ"، وتُوفي عن عمر 77 عامًا في فجر يوم الأربعاء الموافق 24 نوفمبر 1976م "أول ذي الحجة 1396هـ" حفظ القرآن كله في سن التاسعة، والتحق بالأزهر، وتدرج فيه حتى نال الشهادة العالمية "عودلت بالدكتوراه" 1927م، ثم نال تخصص القضاء الشرعي سنة 1932م"، ثم عضوية جماعة كبار العلماء سنة 1950م، وبعد أن أُلغيت الجماعة نال عضوية مجمع البحوث الإسلامية سنة 1961م، وكان عضوًا في المجلس الأعلى للأزهر من 18/2/ 1954 حتى تُوفي. وعُين عميدًا لكلية أصول الدين سنة 1954م، فعميدًا لكلية الشريعة الإسلامية سنة 1957م لمدة سنتين؛ أحيل على المعاش في 1959 قبل السن القانونية؛ لمعارضته لتغيير نظام التعليم في الأزهر. وعُين أمينًا لمجمع البحوث الإسلامية، أهم مؤلفاته: "تاريخ التشريع الإسلامي"، وبقية المؤلفات خاصة بمناهج الدراسة في كلية الشريعة، ومن بحوثه "تحديد أوائل الشهور العربية".

أشرف وناقش عددًا كبيرًا من الرسائل العلمية، ومن أصحاب تلك الرسائل: الشيخ محمد حسين الذهبي، والشيخ الدكتور يوسف القرضاوي.

وكانت له جلسات علمية مع بعض المشايخ بقاعة محمد عبده في الأزهر؛ مثل: الشيخ عبد الرحمن تاج، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ محمد دراز، وغيرهم. وتُوفي عقب مناقشته لإحدى رسائل الدكتوراه بثلاث ساعات، رحمه الله. ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (2/ 462 - 463)، نقلا عن ابن سامي محمد علي السايس.

ما جعل كتاب "تفسير آيات الأحكام" ينسب إلى الأستاذ محمد علي السّايس، والصواب أن نسبته إليه نسبة تنقيح وتصحيح وليست جمعًا وتأليفًا[1].

قال الدكتور فهد الرومي: "وأحسب أن هذه المذكرة – تفسير آيات الأحكام – وضعها أحد المشايخ في الأزهر، ثم تناوبتها أيدي المشايخ من بعده بالحذف والإضافة والتنقيح والتغيير ونحو ذلك؛ فلم ينسبها أحد لنفسه؛ فبقيت مجهولة المؤلف.

كما أن هناك فارقًا بين الطبعتين المذكورتين: فالأولى تزيد على الأخيرة بتفسير آيات الأحكام في سورتي العنكبوت والروم"[2].

والكتاب وضعه مؤلفه وفق منهج دراسي لطلاب كلية الشريعة بالأزهر، وقد اشتمل على غالب الآيات، وتميزت بسهولة ووضوح الأسلوب، بعيدا عن التطويل والتعقيد اللفظي. وقسمه مؤلفه إلى أربعة أجزاء، يحوى كل جزء منه مقرر سنة دراسية[3].

وطريقته في عرض الآيات أنه يذكر الآية التي تحوي حكما، ثم يشرع في شرحها، وذلك ببيان صلتها بما قبلها وما بعدها، وسبب نزولها، ومعانيها اللغوية، وما فيها من نسخ إن وجد، وما يستنبط منها، وكذا خلاف العلماء في أحكامها الفقهية، وأدلة كل قول مع ترجيحه لما يقوى عنده الدليل[4].

قال الدكتور فهد: "وإن كان لي من ملاحظات على هذا التفسير...فكونه مؤلَّفًا لطلاب يلتزم فيه المؤلف بالمنهج المقرر عليهم؛ فيؤدي به هذا الالتزام إلى الاختصار، لا أقصد الاختصار المحمود؛ بل الاختصار القاصر الذي يجعل صاحبه يعرض عن بيان بعض الأحكام جملة، وعن بيان أدلة بعض الآراء الأخرى أحيانًا، أو ترجيح رأي لم تستوفَ أدلة ترجيحه، ونحو ذلك"[5].

ثالثا – الفتوحات الربانية في تفسير ما ورد في القرآن من الأوامر والنواهي الإلهية لمحمد عبد العزيز الحكيم (المتوفى:1350هـ)[6]:

---

(1) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (2/ 462). وينظر: تفاسير الأحكام ومناهجها، أد علي بن سليمان العبيد، ص568.

(2) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (2/ 464).

(3) تفاسير الأحكام ومناهجها، أد علي بن سليمان العبيد، بتصرف، ص567.

(4) تفاسير الأحكام ومناهجها، أد علي بن سليمان العبيد، بتصرف، ص568.

(5) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، بتصرف (2/ 469).

(6) محمد عبد العزيز الحكيم. ولد سنة 1281هـ، بجزيرة كريت، مقاطعة قنديا، ولما توالت الكوارث على جزيرة كريت من اليونانيين، انتقل مع أبيه إلى دار السعادة، ونال دبلوم طب العيون، بالإضافة إلى اهتمامه بمطالعة كتب اللغة العربية والشريعة الإسلامية، توفي سنة 1350هـ، من تصانيفه:

طبع بالقاهرة في حياة المؤلف، في المطبعة التجارية سنة (1325 هـ)، والثالثة في المطبعة المحمودية بمصر في جزأين[1].

اشتمل كتابه على تفسير ما ورد في القرآن من الأوامر والنواهي، وخصص الجزء الأول منه للأوامر، والثاني للنواهي، وقد ذكر منهجه في مقدمة الكتاب، فقال:

"وقد التزمت فيه سهولة العبارة ليسهل فهمه على كل مسلم من جميع الطبقات، وقد ضمته جميع ما اتفق عليه المفسرون من التأويل، وعرضت عما اختلفوا فيه، مخافة الإعراض والتأويل...

وبالجملة فقد اشتمل كتابي على ما لم يوجد في سائر التفسير، وإن وجد فيها يكون متفرقا وجمعه عسير، ولم أذكر فيه من الأحاديث النبوية إلا ما كان مشهورا، وعن الثقات مأثورا. فأما الأحكام الشرعية فنقلتها من كتب الفقه، ومن كل تفسير شهير، وأما التأويلات الصوفية فأخذت بعضها من كتب الأئمة المشاهير، والبعض منها جال في ضميري مما فتح به المولى القدير"[2].

وقد رتب كتابه حسب سور المصحف الشريف مبتدأ بسورة الفاتحة مختتما بسورة الناس[3].

رابعا – أحكام القرآن الملقب دلائل القرآن على مسائل النعمان، لمحمد أشرف علي التهانوي (المتوفى:1344هـ)[4]:

لم يتم محمد أشرف التّهانوي تأليف هذا المصنف، ووصل فيه إلى غاية سورة آل عمران، وأتمّه من بعده ظفر أحمد بن لطيف العثماني، والشّيخ محمد شفيق المفتي بالدّيار الدّيوبندية.

ويحوي الكتاب بيان ما استنبطه الحنفية وغيرهم من آيات الأحكام، وترجيح المذهب الحنفي والتدليل له، ويعتبر أحكام القرآن للجصّاص المصدر الأساس للمؤلفين في هذا الكتاب، وردّوا على المخالفين وخاصّة الإمام ابن العربي. وطبع في سبع مجلدات في كراجي بالهند سنة 1389هـ[5].

الفتوحات الربانية في تفسير ما ورد في القرآن من الأوامر والنواهي الإلهية. ينظر: معجم المؤلفين (174/10)، وتفاسير الأحكام ومناهجها، أد علي بن سليمان العبيد، بتصرف، ص561.

(1) تفاسير الأحكام ومناهجها، أد علي بن سليمان العبيد، بتصرف، ص561 – 562.

(2) نقلا عن تفاسير الأحكام ومناهجها، أد علي بن سليمان العبيد، بتصرف، ص562.

(3) تفاسير الأحكام ومناهجها، أد علي بن سليمان العبيد، ص562.

(4) محمد عبد العزيز الحكيم. ولد سنة 1281هـ، بجزيرة كريت، مقاطعة قنديا، ولما توالت الكوارث على جزيرة كريت من اليونانيين، انتقل مع أبيه إلى دار السعادة، ونال دبلوم طب العيون، بالإضافة إلى اهتمامه بمطالعة كتب اللغة العربية والشريعة الإسلامية، توفي سنة 1350هـ، من تصانيفه: الفتوحات الربانية في تفسير ما ورد في القرآن من الأوامر والنواهي الإلهية. ينظر: معجم المؤلفين (174/10)، وتفاسير الأحكام ومناهجها، أد علي بن سليمان العبيد، بتصرف، ص561.

(5) تفاسير الأحكام ومناهجها، أد علي بن سليمان العبيد، ص565.

رابعا – الآيات المحكمات في التوحيد والعبادة والمعاملات، للشيخ محمد بن أحمد الملقب بـ"الداه الشنقيطي"، (المتوفى:1389هـ)[1]:

صحح الكتاب وعلق عليه أبو الفضل عبد الله بن محمد الصديق، وورد في آخر الكتاب ما نصّه: "وقد تم تأليف الآيات المحكمات في شهر الله المحرم ذي القعدة سنة (1374هـ).وطبع الكتاب عدة طبعات، كانت السادسة منها بدار الفكر سنة (1403هـ) في جزء واحد[2].

والكتاب جمع فيه مؤلفه بعضا من آيات الأحكام وشرحها بإيجاز، وبين منهجه في مقدمته، فقال: "فهذا شرح وجيز على الآيات المحكمات استجلبت فيه بعضا من فقه المالكية والشافعية والحنابلة والحنفية، ذاكرا كلام كل واحد على حدة، مع الاستهلال على بعض المسائل بالحديث وعزوه. وما عزوته للبخاري ففي صحيحه، وما عزوته لمسلم كذلك"[3].

ورتب كتابه على ترتيب الأبواب الفقهية، فابتدأ بكتاب التوحيد ثم أبواب الطهارة، ثم أبواب الصّلاة، ثم أبواب الزكاة.. وهكذا[4].

وطريقته في شرح الآيات أنه يجمع الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد، ثم يفسرها مبينا ما تدل عليه، ثم يستخرج ما تدل عليه من أحكام، ثم ما ورد فيها من أحاديث، فمثلا عند باب المياه، قال:

قال الله عز وجل: [وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَأَناسِيَّ كَثِيراً] (الفرقان:49).في هذه الآية دليل على أن الماء النازل من السماء طهور.

"الفقه": اتفق أهل المذاهب الأربعة على أن الماء النازل من السماء والنابع من الأرض وماء البحر سواء كان عذبا أو مالحا الباقي على أصل خلقته لم يتغير أحد أوصافه، أو تغير بقذارة أو بمجاورة أنه يصلح للعبادات والعادات.

"ما جاء في طهورية الماء الذي لم يتغير": عن أبي سعيد الخدري قال : قيل يا رسول الله أن توضأ من بئر بضاعة وهي بئر يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إن الماء طهور لا ينجسه شيء". رواه الترمذي. ثم أتبعه بأحاديث الباب رواها الطبراني وابن ماجه.

---

(1) من مؤلفاته: "فيض الغفار في أحاديث المختار"، "فتح القدير في مصطلح البشير النذير", "الفتح الرباني على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني"، "فتح الوهاب شرح على بلوغ المرام"، "الآيات المحكمات في التوحيد والعبادة والمعاملات". ينظر: الرسالة المستطرفة، (10/ 13).

(2) ينظر: تفاسير الأحكام ومناهجها، أد علي بن سليمان العبيد، بتصرف، ص562 – 564.

(3) تفاسير الأحكام ومناهجها، أد علي بن سليمان العبيد، بتصرف، ص562.

(4) المرجع نفسه، بتصرف، ص563.

ثم ذكر الأحاديث الواردة في: "ما جاء في المسائل الخلافية مع تركيزه على مذهب الإمام مالك"[1].

(1) نقلا عن المرجع نفسه، ص563 – 564.

المبحث الخامس – الاتجاه البياني

أولا– تعريف التفسير البياني:

1. تعريف البيان:

قَالَ أَبُو عُبيد: الْبَيَان، هُوَ: الْفَهم وذكاء القَلب مَعَ اللَّسَن. قَالَ: وَمَعْنَاهُ: أَنه يَبلغ من بَيَان ذِي الفَصاحة أَنه يَمدح الْإِنْسَان فيُصدَّق فِيهِ حَتَّى يَصْرِف القُلوب إِلَى قَوْله وحُبّه، ثمَّ يَذُمّه فيصدَّق فِيهِ حَتَّى يصرف الْقُلُوب إِلَى قَوْله وبُغضه، فَكَأَنَّهُ سَحر السامعين بذلك، وَهُوَ وَجه قَوْله: (إِن من الْبَيَان لسِحْراً) [1]. [2].

وقال الرماني: "البيان هو الإحضار لما يظهر به تمييز الشيء من غيره في الإدراك...والكلام على وجهين: كلام يظهر به تميز الشيء من غيره فهو بيان، وكلام لا يظهر به تميز الشيء فليس ببيان، كالكلام المخلط والمحال الذي لا يفهم به معنى. وليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن "[3].

وعرفه الجرجاني بقوله: "البيان: إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستورًا قبله، وقيل: هو الإخراج عن حد الإشكال"[4].

ثانيا – تعريف التفسير البياني:

التفسير البياني هو "التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة عن أخرى، وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير"[5].

ثالثا – أهمية التفسير البياني:

يعتبر التفسير البياني بمثابة المقدّمات الأساسية التي تسبق كل دراسة للقرآن الكريم، "لا لأنه كتاب العربية الأكبر فحسب، ولكن – كذلك – لأن الذين يعنون بدراسة نواح أخرى فيه، والتماس مقاصد بعينها منه؛ لا يستطيعون أن يبلغوا تلك المقاصد دون أن يفقهوا أسلوبه الفريد ويهتدوا أسراره البيانية التي تعين على إدراك الدلالة، فسواء أكان الدارس يريد أن يستخرج من القرآن أحكامه الفقهية، أو

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الخطبة، ح4851، 1976/5.

(2) تهذيب اللغة (358/15).

(3) إعجاز القرآن للباقلاني، (ص274).

(4) التعريفات، (ص 47).

(5) على طريق التفسير البياني، فاضل السامرائي، (7/1).

يستبين موقفه من القضايا الاجتماعية أو اللغوية أو البلاغية...فهو مطالب بأن يتهيأ أولا لما يريد، ويعد لمقصده عدته: من فهم لمفردات القرآن وأساليبه، فهما يقوم على الدرس المنهجي الاستقرائي ولمح أسراره في التعبير"[1].

فالغرض من التفسير البياني هو الابتعاد بالنص القرآني من محاولات الشطط في التأول الموجودة في كثير من كتب التفسير واللغة والبلاغة، ومن التكلف وتحميل ألفاظ القرآن وعباراته ما يأباه القرآن نفسه حين نحتكم إليه[2].

ولهذه الأهمية البالغة للتفسير البياني؛ فإن المتصدي للتفسير البياني يحتاج بالإضافة إلى الشروط العامة للمتصدي للتفسير العام، أن يكون ملمّا أكثر للأمور الآتية:

1. التبحر في علوم اللغة.
2. التبحر في علوم النحو.
3. التبحر في علوم التصريف.
4. التبحر في علوم البلاغة[3].

نماذج من العناية بالتفسير البياني في العصر الحديث:

أولا – عناية الإمام محمد عبده بالتفسير البياني:

يرى الأستاذ محمد عبده أن لإعجاز القرآن الكريم وجوها عدّة، نلخّصها فيما يلي:

(الوجه الأول): إعجاز القرآن بأسلوبه ونظمه: وذلك باشتماله على النظم الغريب، والوزن العجيب، والأسلوب المخالف لما استنبطه البلغاء من كلام العرب في مطالعه وفواصله ومقاطعه.

(الوجه الثاني): إعجاز القرآن ببلاغته: فبلاغته التي تقاصرت عنها بلاغة سائر البلغاء قبله وفي عصر تنزيله وفيما بعده، ولم يختلف أحد من أهل البيان في هذا.

(الوجه الثالث): إعجاز القرآن بما فيه من علم الغيب: لاشتماله على الإخبار بالغيب من ماض، كقصص الرسل مع أقوامهم.

(الوجه الرابع): إعجاز القرآن بسلامته من الاختلاف: سلامته على طوله من التعارض والتناقض والاختلاف، خلافا لجميع كلام البشر.

---

(1) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة بنت الشاطئ، بتصرف، (15/1).

(2) ينظر: المرجع نفسه، (18/1).

(3) ينظر: على طريق التفسير البياني، فاضل السامرائي، (7/1).

(الوجه السادس): إعجاز القرآن بعجز الزمان عن إبطال شيء منه: فالقرآن يشتمل على بيان كثير من آيات الله تعالى في جميع أنواع المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والإنسان.

(الوجه السابع): إعجاز القرآن بتحقيق مسائل كانت مجهولة للبشر: لاشتماله على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله[1].

فبلاغة القرآن الكريم تعد وجها من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ونقل عنه السيد محمد رشيد رضا ضابط البلاغة فقال: "الحد الصحيح للبلاغة في الكلام هي أن يبلغ به المتكلم ما يريد من نفس السامع بإصابة موضع الإقناع من العقل، والوجدان من النفس (وقد يعبر عنهما بالقلب)، ولم يعرف في تاريخ البشر أن كلاما قارب القرآن في قوة تأثيره في العقول والقلوب، فهو الذي قلب طباع الأمة العربية وحولها عن عقائدها وتقاليدها، وصرفها عن عاداتها وعداواتها، وصدف بها عن أثرتها وثاراتها، وبدلها بأميتها حكمة وعلما، وبجاهليتها أدبا رائعا وحلما، وألف من قبائلها المتفرقة واحدة سادت العالم بعقائدها وفضائلها وعدلها وحضارتها، وعلومها وفنونها"[2].

ونجد الأستاذ محمد عبده يطبق هذا الأمر في تفسير سورة الفاتحة، وتفسير جزء عم، ويركز على ما يعين على توضيح المعنى.

فمثلا نجده يشبه البروج بالقصور في قوله تعالى: [والسماء ذات البروج](البروج01)، ويبرز العلاقة بينهما، فيقول: "وقد فسرت البروج في الآية بالنجوم، والبروج المذكورة وبالقصور على التشبيه، ولا ريب في أن النجوم أبنية فخمة عظيمة، فيصح إطلاق البروج عليها تشبيها لها بما يبنى من الحصون والقصور في الأرض"[3].

أما الكناية فيظهر في مواقع كثيرة في تفسيره، منها أنه ذكر أن قوله تعالى: [قتل الإنسان ما أكفره](الإنسان: 5)، كناية عن قبح حاله، وأنه قد بلغ منه مبلغا لا يستحق معه أن يبقى حيا. وفي قوله تعالى: [تبت يدا أبي لهب وتب] (المسد:01)، كناية عن خسران الشخص نفسه وهلاكها لأن اليد آلة العمل والبطش[4].

---

(1) ينظر: تفسير المنار، (1/ 165 - 175).

(2) تفسير المنار، (168/1)

(3) تفسير جزء عم، (ص 61)

(4) نقلا عن الدراسات الأدبية للأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث، محمد أحمد الأشقر (ص50-51).

أما المقابلة، فيشير إليها عند تناوله لسورة التكوير، أثناء مقارنته حال المؤمنين بحال الكافرين، ويربط بذلك بين سورتي التحوير وق لتوضيح هذه المقابلة، ويشير إلى أن كشف الغطاء في سورة (ق) هو كشط السماء في سورة التكوير، فكل من السورتين تفسير للأخرى[1].

أما الاعتراض، فيشير إليه في تناوله لسورة البلد، فيقول"أسم بمكة لتفخيم شأنها، وصرح بذكرها على طريق الإشارة إليها مرتين لزيادة التفخيم، وأتى بجملة [وأنت حل بهذا البلد] واعترض بها بين العاطف والمعطوف؛ ليفيد أن مكة عظيم شأنها، جليل قدرها في جميع الأحوال، حتى في هذه الحالة التي لم يرع أهلها في معاملتك،تلك الحرمة التي خصها الله بها، وفي هذا تنبيههم وإيقاظهم من غفلتهم وتقريعهم على ما حطوا من منزلة بلدهم"[2].

كما يهتم الإمام عبده بالرّبط بين المعاني المتشابهة أو المتممة لبعضها في السّور المختلفة، فهو يشير إلى قصة قوم عاد في سورة الفجر، ويربطها بسورة الحاقة، وتفصيل العذاب الذي لحق بهم. كما يشير إلى ليلة القدر في سورة القدر و سورة الدخان وسورة البقرة في سياق تفسيره لسورة البقرة[3].

كما كانت عنايته بالتناسب ظاهرة، فيذكر في تفسيره لسورة الليل، بأنه يبتدئها بالقسم بالليل، وهي الظلمة لأنها الأنسب بما ختمت به السورة السابقة، من الدمدمة وإطباق العذاب؛ لأنها أليق بما عليه سعي أغلب الناس الذين سيذكرهم في قوله تعالى: [إن سعيكم لشتى][4].

ويبيّن الصورة في قوله تعالى: [ووضعنا عنك وزرك] (المسد:01)، فيقول: "إن ما كان يحمله عليه السلام من ثقل الاهتمام بشأن قومه، وضيق المذاهب بين يديه قبل تواتر الوحي عليه بالإرشاد، لم يكن ثقيلا حسيا ينقض منه الظهر، ولكنه كان هما نفسيا يفوق ألمه ألم ذلك الثقل الحسي المتمثل به، فعبر عن الهم الذي تبخع به النفوس بالحمل الذي تقسم له الظهور"[5].

ويتعرض أيضا إلى مسألة التكرار في كتابه "مشكلات القرآن الكريم"، في قوله تعالى: [فبأي آلاء ربكما تكذبان] في سورة الرحمن، فيرى أن التكرار للتأكيد أو التقريع أو التهويل أمر شائع في ألغ

(1) الدراسات الأدبية للأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث، محمد أحمد الأشقر (ص61).

(2) نقلا عن الدراسات الأدبية للأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث، محمد أحمد الأشقر (ص52).

(3) المرجع نفسه، (ص53).

(4) نقلا عن المرجع نفسه، (ص53).

(5) نقلا عن المرجع نفسه، (ص50).

الكلام عندما يظهر ذلك القصد منه، إلا أن هذه الآية عند متأملها، ليست متكررة، فإن معناها أفبهذه النعمة تكذبان، وهكذا كل ما جاء في القرآن على هذا النحو[1].

فهذه وغيرها مظاهر عناية الأستاذ محمد عبده بالاتجاه البياني في عمله التفسيري، وإن كان جميع مسعاه هو المستوى الذي يحقق به المراد الذي قال عنه: "والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب، من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه"[2].

وبعد أن ذكر الوجوه المختلفة للتفسير عقب بقوله: "وقد عرفت أن الإكثار في مقصد خاص من هذه المقاصد يخرج الكثيرين عن المقصود من الكتاب الإلهي...ولهذا كان الذي نعنى به من التفسير هو ما سبق ذكره ويتبعه بلا ريب وجوه البلاغة بقدر ما يحتمله المعنى، وتحقيق الإعراب على الوجه الذي يليق بفصاحة القرآن وبلاغته"[3].

وتجد الإمام محمد عبده، وهو يفصّل في كتابه "مشكلات القرآن الكريم وتفسير سورة الفاتحة"، ما يجب أن يكون عليه المفسر حتى يحقق التفسير في مرتبته العليا، وخلاصته في الأمور الآتية:

- أحدها: فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن، إذ يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة، غير مكتف بقول فلان، وفهم فلان؛ فإن كثيرا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان، ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد، كلفظ التأويل مثلا، ومن هنا فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه، وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وفي ذلك قالوا:إن القران يفسر بعضه بعضا.
- ثانيها: الأساليب: فينبغي أن يكون عند المفسر من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة، وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ، ومزاولته مع التفطن لنكته ومحاسنه والعناية والوقوف على مراد المتكلم منه. ويحتاج في هذا إلى علم الإعراب وعلم أساليب (المعاني والبيان).

(1) نقلا عن المرجع نفسه، (ص53).

(2) مشكلات القرآن وتفسير سورة الفاتحة (ص10).

(3) المرجع نفسه، (ص12).

- ثالثها: علم أحوال البشر، فلا بد للناظر في القرآن من النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم ومناشئ اختلاف أحوالهم، من قوة وضعف، وعز وذل، وعلم وجهل، وإيمان وكفر، ومن العلم بأحوال العالم الكبير علويه وسفليه، ويحتاج في هذا إلى فنون كثيرة من أهمها التاريخ بأنواعه.
- رابعها: العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن، إذ يجب على المفسر أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم...
- خامسها: العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وما كانوا عليه من علم وعمل...[1].

ثانيا – التفسير البياني عند الأستاذ أمين الخولي[2]:

نتناول الآن جانبا مغايرا لما لمحناه من منهج الشيخ محمد عبده في رسم غايته من التفسير، فإذا كان التفسير البياني لديه ليس غاية في حدّ ذاته، فإن هذا الاتجاه الذي يمثله الأستاذ أمين الخولي يجعل الغاية من دراسة النص القرآني أدبية صرفة دون تأثير أي اعتبار آخر وعليه يتوقف كل غرض آخر يقصد إليه[3].

ويقرر هذا الأستاذ أمين الخولي في قوله: "... وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني، دون نظر إلى أي اعتبار ديني هو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربية أصلا والعربية اختلاطا، مقصدا أول وغرضا أبعد يجب أن يسبق كل غرض ويتقدم كل مقصد، ثم لكل ذي غرض أو صاحب مقصد بعد الوفاء بهذا الدرس الأدبي أن يعمد إلى ذلك الكتاب، فيأخذ منه ما يشاء ويقتبس منه ما يريد ويرجع إليه فيما أحب من تشريع أو اعتقاد أو أخلاق أو إصلاح اجتماعي أو غير ذلك. وليس شيء من هذه الأغراض الثانية يتحقق على وجهه إلا حين يعتمد على تلك الدراسة الأدبية لكِتاب العربية الأوحد دراسة صحيحة كاملة مفهمة له، وهذه الدراسة هي ما نسميه اليوم تفسيرا؛ لأنه لا يمكن بيان غرض القرآن ولا فهم معناه إلا بها"[4].

---

(1) نقلا عن الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم، محمد أحمد الأشقر، ص45-46، (2/200-201).

(2) أمين الخولي، ولد سنة (1313هـ - 1895 هـ)، أحد أعضاء المجمع اللغوي بمصر. ولد في قرية شوشاي بالمنوفية، وتعلم بالأزهر تخرج بمدرسة القضاء الشرعي. وعين للشؤون الدينية في السفارة المصرية بروما فأحدث أزمة حملت حكومة إيطاليا على طلب نقله، فنقل إلى برلين، وأثار أزمة أخرى، فدعته حكومته إلى مصر. وعين أستاذا في الجامعة المصرية،ثم كان وكيلا لكلية الآداب، إلى سنة 1953، فمديرا للثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم إلى سنة 1955م، وبها أحيل إلى المعاش، ومثل مصر في عدة مؤتمرات. وتوفي بالقاهرة. له (البلاغة العربية)، و(فن القول) (التفسير معالم حياته منهجه اليوم)، و(مالك بن أنس)، و(المجددون في الإسلام)، و(الأزهر في القرن العشرين)، و(الأدب المصري)، و(الجندية في الإسلام)، و(من هدي الرسول)، و(مشكلات حياتنا اللغوية)، وغيرها. توفي سنة (1385هـ - 1966م). ينظر: الأعلام للزركلي، (16/2).

(3) التفسير معالم حياته منهجه اليوم: أمين الخولي، ص35.

(4) التفسير معالم حياته منهجه اليوم: أمين الخولي، ص35.

وتؤكد هذا الاتجاه الدكتورة عائشة بنت الشاطئ في قولها: "ونحن في الجامعة نترك هذا الكنز الغالي لدرس التفسير، وقلَّ فينا من حاول أن ينقله إلى مجال الدراسة الأدبية الخالصة التي قصرناها على دواوين الشعر ونثر مشهوري الكتاب، وكان المنهج المتَّبع في درس التفسير -إلى نحو ربع قرن من الزمان- تقليديًّا أثريًّا، لا يتجاوز فهم النص القرآني على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم، حتى جاء شيخنا الإمام "الأستاذ أمين الخولي"، فخرج به عن ذلك النمط التقليدي وتناوله نصًّا أدبيًّا على منهج أصله، وتلقاه عنه تلامذته وأنا منهم"[1].

مراحل ومعالم تطبيق منهج التفسير البياني عند الأستاذ أمين الخولي:

المرحلة الأولى: التفسير الموضوعي:

أكد أمين الخولي على ضرورة الرؤية القرآنية الشاملة للموضوعات القرآنية، فالقرآن لم يرتب على الموضوعات والمسائل فيفرد كل شيء منها بباب أو فصل، يجمع ما ورد فيه عن هذا الموضوع أو تلك المسألة ...إنما جرى القرآن على غير هذا كله. فعرض لكثير من الموضوعات ولم يجمع منها واحدا بعينه، ... وإنما نثر ذلك كله نثرا وفرقه تفريقا؛ فالحكم التشريعي في أكثر من موضع والأصل الاعتقادي قد عرض له غير مرة، والقصة قد وزعت مناظرها ومشاهدها في جملة أماكن، وهكذا تقرأ في السورة الواحدة فنونا من القول وتمر بألوان من الأغراض المختلفة تعرض لها سورة أخرى فيتكامل العرضان، وتتم الفكرة بتتبعها في مواطن متعددة وذلك لحكمة ومرمى"[2].

فالتفسير البياني في رأيه لا يكون إلا بطريقة التفسير الموضوعي الذي يجمع الآيات ذات الموضوع الواحد من أماكنها المتفرقة، وينظر إليها نظرة واحدة، وبهذا يكون الفهم الصحيح[3].

المرحلة الثانية: الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد:

يذهب أمين الخولي إلى حتمية إعادة صياغة ترتيب آيات الموضوع الواحد حسب زمن نزلها، ويجعل ذلك عاملا رئيسا لكشف أسرار تتاليها، ومسلكا ضروريا لفهم وإدراك معانيها، يقول في هذا: "وترتيب القرآن لم يرع شيئا من تقدم الزمن وتأخره، فمكيه يتخلل مدنيه ويحيط به، ومدنيه يتخلل مكيه ويحيط به. وهكذا ترى من النظر في ترتيب القرآن على سوره ما لا يساير حاجات مفسره المتفهم لهن، بل يقضي ما كان من أمر الترتيب: بالنظر الجديد والترتيب الخاص لآي الموضوع بحيث

---

(1) التفسير البياني للقرآن الكريم: د عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، 13/1.

(2) ينظر: التفسير معالم حياته منهجه اليوم: أمين الخولي، بتصرف، ص35-36.

(3) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (3/ 887).

يكشف هذا الترتيب لنا عن تلك النواحي التي عرفت أن المفسر المتفهم مضطر إلى مراعاتها وتقديرها توصلا إلى الفهم الصحيح والمعنى الدقيق"[1].

المرحلة الثالثة: دراسة الآيات:

وتعتبر المرحلتان السابقتان القاعدة لهذه المرحلة.

والأستاذ أمين الخولي يقسم دراسة الآية إلى صنفين هما:

- دراسة ما حول القرآن.
- دراسة في القرآن.

أولا – دراسة ما حول القرآن:

قسمها إلى قسمين؛ دراسة خاصة ودراسة عامة:

- الدراسة الخاصة خلاصته أنه يشترط للتفسير الأدبي دراسة حول القرآن الكريم نحو دراسة تاريخه، ونزوله، وجمعه، وترتيبه، وناسخه ومنسوخه، وبعبارة أخرى يشترط على المفسر أن يكون عالما بأصول العلوم المتصلة بالقرآن، والمعروفة بعلوم القرآن[2].
- وأما الدراسة العامة لما حول القرآن الكريم، يقصد بها "ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن وعاش، وفيها جمع وكتب وقرئ وحفظ وخاطب أهلها أول من خاطب، وإليهم ألقى رسالته؛ لينهضوا بأدائها، وإبلاغها شعوب الدنيا. فروح القرآن عربية، ومزاجه عربي، وأسلوبه عربي، والنفاذ إلى مقاصده إنما يقوم على التمثل الكامل والاستشفاف التام لهذه الروح العربية وذلك المزاج العربي، والذوق العربي"[3].

المرحلة الثانية: دراسة القرآن نفسه:

وتتمثل الخطوات الدراسة في الأمور الآتية:

1. **دراسة في المفردات:** من ناحيتين: من ناحية معناها اللّغوي، ومن ناحية معناها القرآني.

يرى الأستاذ الخولي أن الخطوة الأولى في دراسة النص نفسه هي النظر في المفردات، وذلك بوضع ترتيب زمني لتدرج دلالات الألفاظ ليعرف معنى اللفظة الواحدة وقت نزول القرآن الكريم، ومعناها بعد أن تداولتها أفواه مختلفة الألوان والدماء، ليتم التمييز بين المعنى اللغوي والمعنى القرآني.

---

(1) التفسير معالم حياته منهجه اليوم: أمين الخولي ص36-37.

(2) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (887/3).

(3) نقلا عن المرجع نفسه (887/3).

ويرى أنه لا يوجد معجم يفي بهذا الغرض، وترتب على هذا أن يقوم المفسر الأدبي بتحمل عبء متابعة تدرج اللفظ، ومن ثم اختيار ما يراه مناسبا للفظة القرآنية وقت نزول القرآن الكريم من معانٍ أخرى.

ورتب الأستاذ الخولي على هذا أيضا أن ينظر المفسر في الألفاظ القرآنية من ناحيتين:

أ – النظر في المادة اللغوية للفظ الذي يريد تفسيره؛ لينحي فيها المعاني اللغوية عن غيرها، ثم ينظر في تدرج المعاني اللغوية للمادة نظرة ترتبها على الظن الغالب لتقدم الأسبق الأقدم منها على السبق حتى يطمئن ما استطاع إلى شيء في ذلك ينتهي منه إلى ترجيح معنى لغوي للكلمة كان هو المعروف حين سمعتها العرب في آي الكتاب.

ب – ثم ينتقل بعده إلى معناها الاستعمالي في القرآن يتتبع ورودها فيه كله؛ لينظر في ذلك فيخرج منه برأي عن استعمالها، هل كانت له وحدة أطردت في عصور القرآن المختلفة ومناسباته المتغيرة؟ وإن لم يكن الأمر كذلك فما معانيها المتعددة التي استعملها فيها القرآن؟ وبذا يهتدي بمعناها أو معانيها اللغوية إلى معناها أو معانيها الاستعمالية في القرآن، وهو بما ينتهي إليه من كل أولئك يفسرها مطمئنا في موضعها من الآية التي جاءت فيها[1].

2. دراسة في المركبات:

والخطوة التالية للنظر في المفردات هي النظر في المركبات وقد وضح الأستاذ الخولي أصول هذه النظرة وما تحتاج إليه بقوله: "ثم بعد المفردات يكون نظر المفسر الأدبي في المركبات وهو في ذلك ولا مرية مستعين بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة ...، ولكن لا على أن الصنعة النحوية عمل مقصود لذاته، ولا لون يلون التفسير كما كان الحال قديما، بل على أنها أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده، والنظر في اتفاق معاني القراءات المختلفة للآيات الواحدة، والتقاء الاستعمالات المتماثلة في القرآن كله.

ثم على أن النظرة البلاغية في هذه المركبات، ليست هي تلك النظرة الوصفية التي تعنى بتطبيق اصطلاح بلاغي بعينه، وترجيح أن ما في الآية منه هو كذا لا كذا، أو إدراج الآية في قسم من الأقسام البلاغية دون قسم آخر!! كلا بل على أن النظرة البلاغية هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني وتستبين معارف –هذا الجمال وتستجلي قسماته في ذوق بارع قد استشف خصائص التركيب العربي منضما إلى ذلك التأملات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية

(1) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (887/3).

لمعرفة مزاياها الخاصة بها بين آثار العربية، بل لمعرفة فنون القول القرآني وموضوعاته فنًّا فنًّا، وموضوعًا موضوعًا، معرفة تبين خصائص القرآن في كل فن ومزاياه التي تجلو جماله"[1].

بالإضافة إلى ما سبق ذكره، فإن الخولي جعل من النظر النفسي أداة لحسم عدد مواقف الفهم، فقال: "إن اللمحة النفسية في المعنى القرآني ربما تكون أحسم لخلاف بعيد الغور كثير الشعب بين المفسرين... فالملاحظة النفسية حين تعلل نسج الآية وصياغتها، وتعرف بجو الآية وعالمها، ترفع المعنى الذي يفهم منها إلى أفق باهر السناء، وبدون هذه الملاحظة يرتدُّ المعنى ضئيلا ساذجا، لا تكاد النفس تطمئن إليه، ولا هو خليق بأن يكون من مقاصد القرآن".[2]

(1) نقلا عن اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (897/3).

(2) التفسير معالم حياته منهجه اليوم أمين الخولي، ص45.